أدب الأنبياء مع اللّه في الدعاء
دراسة في ضوء القرآن الكريم

د. حسن بن ناجع العجمي

استاذ مساعد قسم الدراسات الاسلامية

الكلية الجامعية بتيماء

جامعة تبوك

من ٢٦٥ إلى ٣٤٤

The prophets and their literature with God in supplication through the Qur’anic story

Dr.. Hassan bin Nagaa Al-Ajmi
Assistant Professor, Department of Islamic Studies
University College of Tayma
Tabouk university

أدب الأنبياء مع الله في الدعاء دراسة في ضوء القرآن الكريم

حسن بن ناجع العجمي
قسم الدراسات الاسلامية-الكلية الجامعية بتيماء-جامعة تبوك- المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني:hagmi-25@hotmail.com

ملخص البحث:
تناولت هذه الدراسة المباركة جانبا من أدب الأنبياء مع الله في الدعاء من خلال القصة القرآنية في باب الحاجات، وذكرت فضل الدعاء وآدابه من خلال القرآن والسنة ووضحت أهمية الدعاء في حياة المسلم، ثم ذكرت الدراسة جانبا من دعاء الأنبياء والرسل – عليهم السلام- أمثال نبي الله نوح عليه السلام وذكر دعائه الخاص بابنه العاصي، ونبي الله إبراهيم عليه السلام وذكر دعائه الخاص بالذرية، ونبي الله يعقوب عليه السلام وذكر دعائه الخاص بأبنائه، ونبي الله موسى عليه السلام وذكر دعائه الخاص به عند خروجه من مصر ، ونبي الله زكريا عليه السلام وذكر دعائه الخاص بالذرية، ونبي الله يونس عليه السلام وذكر الدعاء الخاص به وهو في بطن الحوت واستنباط الدروس والعبر من دعائهم – عليهم السلام .

الكلمات المفتاحية: أدب – الأنبياء – الدعاء – القصة القرآنية – نبي الله نوح – نبي الله إبراهيم – نبي الله يعقوب – نبي الله موسى.

The Prophets And Their Literature With God In Supplication Through The Qur'anic Story

Hassan Bin Nagaa Al-Ajmi
Department Of Islamic Studies-University College Of Tayma - Tabouk University- Saudi Arabia.
Email: hagmi-25@hotmail.com

Abstract:

This blessed study dealt with an aspect of the literature of the prophets with God in supplication through the Qur'anic story in the chapter on needs, and mentioned the virtue and etiquette of supplication through the Qur'an and Sunnah, and clarified the importance of supplication in the life of a Muslim. Noah and he mentioned his supplication for his disobedient son, and the Prophet of God Ibrahim and he mentioned his supplication for the offspring, and the prophet of God Jacob and he mentioned his supplication for his sons, and the Prophet of God Moses and he mentioned his own supplication for his exodus from Egypt, and the prophet of God Zakariya and his supplication for the offspring, and the prophet of God Yunus and mentioned his own supplication while he was in the belly of the whale and deduced lessons and lessons from their supplications - peace be upon them.

Keywords: literature - Prophets - Supplication - Quranic Story - Prophet Of God Noah - Prophet Of God Abraham - Prophet Of God Jacob - Prophet Of God Moses .



مقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

الحمد لله الذي شرع الدعاء، وفتح لنا به باب الرجاء، نحمده حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، القريب السميع المجيب، وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمدا رسول صاحب القلب الرحيم والقول الكريم والدعاء العظيم .

أما بعد،،:

الدعاء من أعظم العبادات التي تقوي الصلة بين العبد وربه فبالدعاء يشعر الإنسان بالأمن والطمأنينة وبالدعاء يزول الكرب ويغفر الذنب ويشفي المريض ويعفى المبتلى ويجبر الكسير، وهو عبادة سهلة ومطلقة غير مقيدة بزمان ولا مكان فهي في الليل والنهار، وفي البر والبحر ولون من ألوان العبادة والذل والانكسار لله سبحانه وتعالى ، وطلب العون من الله سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج، ويتخلى الإنسان عن حوله وطوله وقوته بالتجائه إلى ربه العظيم القادر المقتدر بجلب النفع ودفع الضر. ولنا في أنبياء الله ورسله – عليهم السلام – الأسوة الحسنة في دعائهم من خلال القرآن الكريم،

وفي هذه الدراسة اقتصرت على جانب من دعاء الأنبياء – عليهم السلام – من أصحاب الحاجات حيث اقتصرت على الأدعية التي كان الهدف منها قضاء الحوائج، فقد ركز البحث على الأدعية التي كان هدفها قضاء الحوائج للأنبياء، ولم تتعرض الدراسة للأدعية العامة التي دعا بها الأنبياء .

وإذا كانت الدراسة قد ذكرت أدعية قضاء الحوائج عند الأنبياء فهذا لا يعني أن الدراسة قد أحاطت بكل أدعية الأنبياء من أصحاب الحاجات، ولكنها

اقتصرت على بعض الأدعية المختارة من قصص أنبياء الله نوح وإبراهيم ويعقوب وموسى وزكريا و يحي ويونس - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

فعنوت لهذا البحث: بـــ (أدب الأنبياء مع الله في الدعاء دراسة في ضوء القرآن الكريم)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية وأسباب اختيار الموضوع في عدة نقاط منها:

أولًا: أهمية الدعاء في حياة المسلم من باب العبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بهذه الشعيرة العظيمة، ومن باب أهمية الدعاء في قضاء الحوائج و الاستعانة به على نوائب الدهر حين تتقطع السبل وتتقطع الأسباب، فالدعاء عبادة يثاب عليه الداعي، والدليل على ذلك ألا ترى أن الله - سبحانه وتعالى - جعله في جملة ما مدح به عباده في هذا المدح، ويؤيده قوله عز وجل :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] فسماه عبادة[2] .

ثانياً:أهمية القدوة الصالحة في حياة المسلم، ففي الأنبياء - عليهم السلام- خير قدوة للمؤمنين الذين يبتغون أفضل الطرق وأقصرها إلى الله - سبحانه وتعالى -، قال تعالى بعد أن ذكر عددًا من أنبيائه في سورة الأنعام:

---

(١) غافر الآية: (٦٠) .

(٢) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام - تأليف أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ) - (٣/٥١٤) - تحقيق /علي بن غازي التويجري ، إبراهيم بن منصور الجنيدل، شايع الأسمري - دار ابن عفان ، الطبعة الأولى - (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١).

ثالثاً: إبراز وجه هداية القرآن الكريم للبشرية قال تعالى: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٢).

رابعاً: إرشاد وتوجيه للمسلم في كيفية مخاطبته لربه وسيده ومولاه وكلما كان سؤال العبد لربه ألطف كان النوال به أجدر.

خامسا: ملاحظة أخبار السابقين واستخلاص الدروس والعبر منها، هو هدف رئيسي لإيراد القرآن لتلك القصص، لذلك وبعد أن قص الله علينا قصة يوسف – عليه السلام – ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾(٣)، ففي هذه الآية دلالة صريحة تدعو إلى ملاحظة الأهداف التي من أجلها ذكر القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام ، ويتضمن ذلك جميع القصص القرآني كما اشتملت الآية الكريمة على نص صريح يبين أن هذه القصص هي محض هداية وإرشاد وتوجيه للمؤمنين .

أهداف البحث:

١- التعرف على فضل الدعاء وآدابه في القرآن والسنة .

٢- التعرف بنبي الله نوح عليه السلام وذكر دعائه الخاص بابنه العاصي واستنباط الدروس والعبر .

٣- التعرف بنبي الله إبراهيم عليه السلام وذكر دعائه الخاص بالذرية واستنباط الدروس والعبر .

---

(١) الأنعام الآية:(٩٠) .

(٤) النمل الآيتان: (١-٢) .

(١) يوسف الآية: (١١١) .

٤- التعرف بنبي الله يعقوب عليه السلام وذكر دعائه الخاص بأبنائه واستنباط الدروس والعبر .

٥- التعرف بنبي الله موسى عليه السلام وذكر دعائه الخاص به عند خروجه من مصر واستنباط الدروس والعبر .

٦- التعرف بنبي الله زكريا عليه السلام وذكر دعائه الخاص بالذرية واستنباط الدروس والعبر .

٧- التعرف بنبي الله يونس عليه السلام وذكر الدعاء الخاص به وهو في بطن الحوت واستنباط الدروس والعبر .

تساؤلات البحث:

١- من هو الدعاء وآدابه في القرآن والسنة ؟.

٢- ما الدروس والعبر المستنبطة من دعاء نبي الله نوح عليه السلام الخاص بابنه العاصي ؟ .

٣- ما الدروس والعبر المستنبطة من دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام الخاص بذريته؟ .

٤- ما الدروس والعبر المستنبطة من دعاء نبي الله يعقوب عليه السلام الخاص بأبنائه ؟ .

٥- ما الدروس والعبر المستنبطة من دعاء نبي الله موسى عليه السلام الخاص به عند خروجه من مصر؟

٦- ما الدروس والعبر المستنبطة من دعاء نبي الله زكريا عليه السلام الخاص بذريته؟ .

٧- ما الدروس والعبر المستنبطة من دعاء يونس عليه السلام الخاص به وهو في بطن الحوت ؟ .

الدراسات السابقة:

فإنه بعد البحث والتقصي ــ حسب جهد الباحث ــ والاطلاع علي قوائم الرسائل الجامعية في كل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والاتصال بمركز الملك فيصل للبحوث

والدراسات الإسلامية بالرياض، تبين للباحث أنه ليس هناك دراسة لها علاقة مباشرة بالموضوع، ولكن هناك بعض الكتابات والتي منها: دعاء الأنبياء والصالحين – للشيخ محمد متولي الشعراوي- جمع وإعداد سعيد عتمان- الدار العالمية للكتب والنشر – الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

والفرق بين هذه الدراسة وبين دراستي: أن هذه الدراسة ركزت على بعض الدعاء العام لبعض الأنبياء والصالحين وأما دراستي فركزت على: أدب الأنبياء مع الله في الدعاء من خلال القصة القرآنية للأدعية طلبا للحاجات .

منهج البحث:

قمت بعون الله سبحانه وتعالى وتوفيقه بهذه الدراسة معتمدًا على المنهج الاستنباطي[١]، فقد استخدمت هذا المنهج في ثنايا البحث حيث قمت باستنباط الدروس والعبر المستلهمة من دعاء الأنبياء وفهمها، ثم المنهج الاستقرائي التحليلي[٢]، وباستقراء وتحليل الآيات القرآنية التي ذكرت دعاء الأنبياء – عليهم السلام – .

---

(١) هو الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصي جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة. المرشد في كتابة الأبحاث، حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله، جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة السادسة/ ١٤١٠،١٤١١هـ، ١٩٩١م. (صـ٤٢) .

(٢) يقوم هذا المنهج على تحليل ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها، د. أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، ،منشورات الفرقان، الطبعة الأولي الدار البيضاء، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م. (صـ٩٦) بتصرف يسير، والاستقراء في اللغة تعني من قرأ الأمر أي تتبعه، ونظر في حاله، أو من قرأت الشيء: بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض، والمراد به هنا: تتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به، لسان العرب- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن

وأما طريقتي المنهجية في البحث فهي كالآتي:

أ ــ قمت بعون الله بذكر آيات القرآن الكريم من مصحف المدينة المنورة الاصدار الأول وذكرت اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليلٌ كافٍ على صحته، وما لم يكن فيهما قمت بتخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعيناً بكلام الأئمة المحققين في ذلك.

ب ــ قمت بعون الله بالرجوع إلى المصادرِ الأصيلةِ لجمعِ مادةِ الرسالة وتوثيقِهَا، من أجلِ تأصيلِ هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى ينابيعِهِ الصافيةِ.

ج ــ التزمت الأمانة العلمية في البحث كله، فنسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصارا قلت باختصار وهكذا.

خطة البحث:

جاءت الدراسة مشتملة على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو الآتي: أما المقدمة: فذكرت أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المتبع فيه وأهداف البحث وتساؤلاته والدراسات السابقة وخطة البحث.

وأما التمهيد: فيشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعرف على مفردات عنوان البحث (الأدب، الأنبياء – الدعاء – القصص)

المطلب الثاني: بيان فضل الدعاء في القرآن والسنة .

منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) – دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ:(١٧٥/١٥)- بتصرف يسير.

التمهيد:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعرف على مفردات عنوان البحث (الأدب، الأنبياء – الدعاء – القصص)

المطلب الثاني: فضل الدعاء في القرآن والسنة .

المطلب الثالث: آداب الدعاء .

المطلب الأول: التعرف على مفردات عنوان البحث (الأدب، الأنبياء – الدعاء – القصص)

١-تعريف الأدب في اللغة والاصطلاح:

{أ}تعريف الأدب في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: أن الأدب هو: "دعاء الناس إلى طعامك، والآدب هو الداعي إلى المأدبة، ثم قال :"واشتقاق الأدب من ذلك ، كأنه أمر قد أجمع عليه وعلى استحسانه" [(١)] . والأدب: "الظرف وحسن التناول"[(٢)] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – (١/١٩٣) .

(٢) القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م – (١/٣٦) .

والأدب: هو الذي يتأدب به الأديب من الناس؛ سمي به؛ لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وذكر أن أصل الأدب الدعاء ، ونقـل أن الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه[١].

وعرف الأدب أيضا بأنه: اجتماع خصال الخير على العبد، ومنه المأدبة وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس، وحقيقته: استعمال الخلق الجميل[٢].

من خلال ما سبق: يمكن القول أن الأدب في الاشتقاق اللغوي يطلق ويراد به: الدعاء، واجتماع الناس على الأمر الحسن، والخلق الجميل .

{ب} تعريف الأدب في الاصطلاح:

الأدب: "فن من الفنون الجميلة، ينبع مـن الموهبـة، ويفيض من الفطرة، ثم تسدده علوم الأدب وتسدده علوم الأدب وتهدي خطاه"[٣]، وهو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه وتحسين ألفاظه ، وصيانته عـن الخطأ والخلل، وهو شعبة من الأدب العام[٤] .

٢- تعريف الأنبياء في اللغة والاصطلاح:

أ- تعريف الأنبياء في اللغة:

النبوة: من " نبأ : والنبأ مهموز : الخبر ، وإن لفلان نبأ : خبرًا، والفعل نبأته وأنبأته واستنبأته، والجمع: الأنباء، والنبي ينبـئ الأنبـاء عـن الله - سبحانه وتعالى - ، والنبي يقال للطريق الواضح يأخذك إلى

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس - محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبـو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) - تحقيق: مجموعـة مـن المحققين - دار الهداية - (١٢/٢١) .

(٢) صور من أدب السلوك الاجتماعي في الإسلام - إبراهيم محمد العلي - دار النفـائس - الأردن - الطبعة الأولى ٢٠٠٤م - (صـ١١) .

(٣) من بلاغة القرآن - أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتـوفى: ١٣٨٤هـ) - نهضه مصر - القاهرة - ٢٠٠٥- (صـ٢٢) .

(٤) صور من أدب السلوك الاجتماعي في الإسلام - (صـ١١) - مرجع سابق .

حيث تريد "[١]، والنبي: من النبوة والنباوة وهي الارتفاع ، والنبي الطريق ويكون من ذلك اشتقاق اسم النبي-ﷺ - [٢]، والنبأ:" الخبر، ومنه أخذ النبي؛ لأنه أنبأ عن الله تعالى"[٣] فالنبي "هو المخبر عن الله - سبحانه وتعالى -؛ لأنه أنبأ عنه"[٤] .

من خلال ما سبق يمكن القول أن لفظ الأنبياء في الاشتقاق اللغوي يطلق ويراد به الخبر، والنبي الذي ينبئ عن الله والطريق الواضح .

ب - تعريف الأنبياء في الاصطلاح:

أما معنى النبوة والنبي اصطلاح: فيورد العلماء في كتبهم عدة تعريفات، ومن هذه التعريفات :

النبي: من "أوحى الله إليه بملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصالحة"[٥] .

---

(١)كتاب العين - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) - تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال - (٣٢٨/٨) .

(٢) مجمل اللغة لابن فارس- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) - تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - (٨٥٣/٣) .

(٣) مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) - تحقيق: يوسف الشيخ محمد - المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م - (٧٤/١) .

(٤) لسان العرب- (٥٦١/٣) - مرجع سابق .

(٥)كتاب التعريفات - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) -تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م - (صـ١٢٥) .

النبي:" هو المبعوث لتقرير شرع من قبله"[١] .

النبوة:" فضل إلهي وهبة ربانية، يهبها الله لمن يشاء من عباده، ويختص بها من يشاء من خلقه، وهي لا تدرك بالجد والتعب، وإنما هي بمحض الفضل الإلهي، فهي اصـطفاء واختيار، ولا تكون إلا لمن اختاره الله – تبارك وتعالى – لها ممن أهل لحملها "[٢].

٣- تعريف الدعاء في اللغة والاصطلاح:

{أ} تعريف الدعاء في اللغة:

{الدُّعاءُ) لغة: بالضم ممدودًا (الرغبة إِلى اللَّهِ تعالى) فيما عنده من الخيْرِ والابْتِهال إِليهِ بالسؤَالِ؛ ومنه قوْلُه تَعَالَى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[٣]، ({دَعا} يَدْعُو ({دُعاءً}ودَعْوَى)؛ وأَلِفُها للتَّأْنِيثِ، وبعضُ العَرَبِ يُؤَنِّثُ الدَّعْوَةَ بالأَلِفِ فيقولُ {الدَّعْوَى ومِن} دعائِهم: اللهُمَّ أَشْرِكْنا فِي {دَعْوَى المُسْلمين، أَي فِي} دُعائِهم، ومِنْه قوْلُه تَعَالَى:﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾[٤]،[٥] .

---

(١) الرسل والرسالات- عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي – مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت – الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م –(صـ١٥) .

(٢) النبوة والأنبياء – د/ محمد علي الصابوني – مكتبة الغزالي – الطبعة الثالثة – ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م- (صـ٣٩) .

(٣) الأعراف جزء الآية: (٥٥) .

(٤) يونس جزء الآية: (١٠) .

(٥)انظر: تاج العروس من جواهر القاموس تأليف /محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية – (٣٨/ ٤٦) .

{ب}تعريف الدعاء في الاصطلاح .

الدعاء: "هو إظهار غاية التّذلّل والافتقار إلى الله والاستكانة له"[(١)]، وقال المناويّ: "هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار، وقيل: هو شفيع الحاجة ونجحها باللّجاجة[(٢)] .

والدعاء يَرِدُ في القرآن على وجوه:

الأَوّل: بمعنى القول: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾[(٣)] أي قولهم.

الثاني: بمعنى العبادة: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾[(٤)] أَي أَنعبدُ.

الثالث: بمعنى النِّدَاء: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [(٥)] أي نادى.

الرّابع: بمعنى الاستعانة والاستغاثة: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾[(٦)].

الخامس: بمعنى الاستعلام والاستفهام ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا ﴾[(٧)] أي استفهم.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ – (١١/ ٩٥) .

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – ﷺ – تأليف / عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة ، جدة ، الطبعة الرابعة– (١٩٠١/٥) .

(٣) الأنبياء جزء الآية: (١٥) .

(٤) الانعام جزء الآية: (١٧) .

(٥) القمر الآية: (١٠) .

(٦) البقرة جزء الآية: (٢٣) .

(٧) البقرة جزء الآية: (٨٦) .

السّادس: بمعنى العذاب والعقوبة ﴿ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[(١)] أي تُعذّب.

السّابع: بمعنى العَرْض ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾[(٢)] أي أَعرضها عليكم[(٣)].

٤- تعريف القصة في اللغة والاصطلاح

{أ} تعريف القصة في اللغة:

تعريف القصة لغة: القصة - بفتح القاف وكسرها- هي الفعلة، من قص الشئ يقصه قصا وقصصا بمعنى تتبع الأمر، "والقصة الخبر، وهو القصص، وقص على خبره يقصه قصا وقصصا أورده، والقص البيان أيضا، والقصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب" [(٤)]، والقص "اتباع الأثر، يقال خرج فلان قصصا في أثر فلان" [(٥)].

من خلال ما سبق: يمكن القول أن القصة في الاشتقاق اللغوي تطلق ويراد بها قص الخبر وتتبع الأثر

{ب} تعريف القصة في الاصطلاح: هي: "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليبها وظروفها في الحياة. على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض" [(٦)] .

---

(١) المعارج الآية: (١٧).

(٢) غافر جزء الآية: (٤١).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف /مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) (٢/٦٠٠) تحقيق /محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

(٤) لسان العرب- (٥/ ٣٦٥١) - مرجع سابق .

(٥) تهذيب اللغة - (٨/ ٣٥٦) - مرجع سابق .

(٦) فن القصة الدكتور محمد يوسف نجم - دار الشروق، دار صادر الكبعة الأولى- لبنان، بيروت، ، ١٩٩٦ م - (صـ ٩) .

والقصة القرآنية هي: "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة"[١].

المطلب الثاني: فضل الدعاء في القرآن والسنة .

يُعَدّ الدعاء أساس العبادة، وروحها؛ لأنّ الداعي لا يتوجّه إلى ربّه بالدعاء إلّا لِعلمه بأنّ النّفع وجلب الخير وكشف الضّر بيد الله وحده، وقد وردت العديد من نصوص القرآن الكريم، والسنّة النبويّة التي تُبيّن فضل الدعاء، وأهمّيته، ومنها قول الله سبحانه وتعالى ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[٢] أي "ادعوا، أيها الناس، ربَّكم وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام ="تضرعًا"، يقول: تذلُّلا واستكانة لطاعته "وخفية"، يقول بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعلَ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله"[٣]، وقول الله –تعالى-: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[٤]، وقول الله –تعالى– على لسان نبيّه نوح: چ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾[٥]، وقول

(١) قصص القرآن د/ عبد الباسط بلبول، مكتبة أصول الدين بالقاهرة– ص ٣٦.

(٢) الأعراف جزء الآية:(٥٥) .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – تحقيق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م – (١٢/ ٤٨٥) .

(٤) الاسراء جزء الآية:: (١١٠)

(٥) القمر الآية: (١٠)

النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: (إنّ ربّكم حَييٌّ كريمٌ يستَحي مِن عبدِهِ إذا رفعَ يدَيهِ إليهِ بدعوَةٍ أن يرُدَّهُما صِفرًا ليسَ فيهما شيءٌ)[١] .

وقول النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له)[٢] فقد بيّن الحديث أنّ الدعاء نَفْعه عظيم يشمل الأحياء، والأموات، وأنّه نَهج الأنبياء، ولقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يُكثر من الدعاء بهذه الآية كما ورد ذلك عن أنس رضي الله عنه عندما سئل عن أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال يقول : «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[٣]، والحسنة المطلوبة في الدينا" يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، وفي الآخرة السلامة من العقوبات ومن النار"[٤].

المطلب الثالث: آداب الدعاء .

لما كان الدعاء من أعظم العبادات عند الله سبحانه وتعالى فإن لهذه العبادة آداب يجب أن يتحلى بها من يريد أن يناجي ربه سبحانه وتعالى

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه باب (٥/٥٥٦) رقم (٣٥٥٦) وقال الترمذي : هذا حديث حس غريب .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه باب في الوقف (٣/٦٥٢) رقم (١٣٧٦) وقال هذا حديث حسن صيح

(٣) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – تحقيق: محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت – الطبعة الأولى– ١٤١٩ هـ (١ / ٢١٣) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – تحقيق: عبد الرحمن اللويحق – دار الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م (صـ ٩٣) .

وهذه الآداب أمر لازم ومطلوب من كل مسلم ومسلمة؛ لأن الالتزام بهذه الآداب سبب من أسباب قبول الدعاء وهذه الآداب أكثر من أن تحصى نذكر منها ما يلي:

١. الإخلاص في الدعاء والتذلل والافتقار إليه سبحانه وتعالى، وأن يكون القلب متعلقا بالله طامعًا فيما عنده يدعوه موقنا بالإجابة لا غافلا ولا آمنا .

٢. حضور قلب الداعي واستحضاره لمعاني ما يدعو به

٣. عدم الاعتداء ومجاوزة الحد في الدعاء، وقد نهى القرآن الكريم عن الاعتداء في جميع الأمور فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[(١)]، ومن الاعتداء "كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو ينقطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عن"[(٢)].

٤. الإلحاح على الله تعالى في الدعاء وأن يكثر من السؤال، فالله سبحانه وتعالى أمر بالسؤال ووعد بالعطاء، قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٣)] فعلى المؤمن الاكثار من دعاة ربه ومناجاة ربه سبحانه وتعالى مع حسن الأدب وحسن الدعاء، والله سبحانه وتعالى يسمع ويجيب من المحسنين.

٥. أن يكون المسلم على طهارة، وأن يستقبل القبلة، وتخلية القلب من الشواغل، وأن يبدأ بحمد الله والثناء عليه واختتامه بالصلاة على النّبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع اليدين نحو السماء، وإشراك المؤمنين فيه، وتحري

---

(١) الأعراف جزء الآية:(٥٥) .

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة، تأليف/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة عشر- العدد الرابع- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م- (صـ١٧٠) .

(٣) غافر جزء الآية: (٦٠)

ساعات الإجابة كثلث الليل الأخير، ووقت إفطار الصائم، ويوم الجمعة، وحال السفر والظلم وغير ذلك[١] .

(١) انظر التفسير المنير للزحيلى – د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨ ه – (٢٤١/٨) .

المبحث الأول: التعريف بنبي الله نوح عليه السلام وذكر دعائه لابنه في القرآن الكريم .

المطلب الأول: التعريف بنبي الله نوح عليه السلام .

ذكرت قصة نوح عليه السلام ـ- في القرآن الكريم، في عشر سور مكية، هي: الأعراف، يونس، هود، الأنبياء، المؤمنون، الشعراء، العنكبوت، الصافات، القمر، التحريم، وأُنزل فيه سورة كاملة هي سورة نوح. وقد ورد ذكر " نوح " في القرآن الكريم ثلاثاً وأربعين مرة.

فهو نوح "بن لامك بن شيث ابن آدم أبو البشر عليه السلام ـ-، وكان اسم نوح السكن، وإنما سُمي السكن؛ لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه، فهو أبوهم. وسمي بهذا الاسم؛ لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى عبادة الله، فإذا كفروا بكى وناح عليهم، وقيل سمي نوحاً لطول ما ناح على نفسه"[١].

وكان مولده "بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، فعلى ذلك يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون، كما ورد عن ابن عباس أنه قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"[٢].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات؛ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى:٦٧٦هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (١٣٢/٢).

(٢) تاريخ الطبري – الطبري– تاريخ الأمم والملوك – محمد بن جرير الطبري أبو جعفر– دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٧ (١٧٤/١) – وهذا الأثر رواه الحاكم في المستدرك، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب:

يقول ابن كثير: فإذا كان المراد بالقرن مائة سنة – كما هو متبادر عند كثير من الناس– فبينهما ألف سنة لا محالة، لكن لا ينفي" أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام، إذ قد يكون بينهما قرون أُخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام. وإن كان المراد بالقرن الجيل من الناس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾[١]. فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين"[٢].

وقد اختُلف في مبلغ عمره:

قال قتادة: لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة، ودعاهم ثلاثمائة سنة، ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة.

وقال ابن عباس ﷺ: بُعث نوح لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.

وقال وهب: عُمّر نوح ألفًا وأربعمائة سنة.

وقال كعب الأحبار: لبث نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عامًا، وعاش بعد الطوفان سبعين عامًا، فكان مبلغ عمُره ألف سنةٍ وعشرين عامًا[٣].

ذكر نوح النبي ﷺ، (٥٩٦/٢)، (٤٠٠٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(١) الإسراء: جزء من آية (١٧).

(٢)قصص الأنبياء –المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – تحقيق: مصطفى عبد الواحد – مطبعة دار التأليف – القاهرة – الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م (٥٨/١).

(٣) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، (٢٧٩/٤).

ولبث عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا يدعوهم إلى الله تعالَى كما أَخْبر الله تعالى به في كتابه العزيز، ويُحذِّرهم ويُخوِّفهم فلم ينْزَجرُوا ولهذا قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴾(١)، فلمّا طال دُعاؤه لهم وإيذاؤهم له، وتَماديهم في غَيّهم سأَلَ اللهَ تعالَى فأَوْحَى إليه ﴿ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ (٢) ولمّا [خبره أَنَّه لم يَبْقَ في الأَصلابِ ولا الأَرْحامِ مؤمنٌ دَعا عليهم فقال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾(٣)، فأَمره الله تعالَى بإيجادِ السفينة، وأَعْقَم الله تعالى أَرْحامَ نسائهم فلم يلد لهم ولد. وأَمر الله تعالى أَن يَحْمِل فيها من كلّ جِنْسٍ من الحيوان زَوْجَيْن اثنين، وحَشَرها الله تعالى إليه من البَرِّ والبَحْر. قال مجاهد وغيره: كان التَّنّور الذى ابتدأَ فَوَران الماء منه في الكوفَةِ، ومنها رَكِب نوحٌ السّفينة. وقال مُقاتلٌ: هو بالشام فى قَرْيةٍ يقال لها عَيْن الوركة قريبٌ من بعلبك. وعن ابن عباسٍ أَنه بالهند. عن ابن عباس أَيضا أَنّ الماء ارتفع حين أصبحت السفِينة أعلى من أَطول جبل على الأَرضِ ما يقرب خمسة عشر ذراعا.

قالوا: وجرت السفينة بأهلها الأَرض كلها في ستَّة أَشهر، ثمّ استقرّت على الجودي - جبلٌ بالموصل ، كان نوحٌ أَطول الأَنبياء عمرا حتى قال بعضهم كان عمره أَلفا وثلاثمائة سنة. ولمّا نزل الوحى عليه كان عمره ثلاثمائة وخمسين سنة، فلبث أَلف سَنَةٍ إلا خمسين عاما يدعوهم(٤) .

---

(١) نوح الآيتان(٥،٦) .

(٢) هود جزء الآية: (٣٦) .

(٣) نوح جزء الآية:(٢٦) .

(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز (٦/٢٦)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تأليف / أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام

المطلب الثاني: دعاء نبي الله نوح عليه السلام الخاص بابنه العاصي

دعا نبي الله نوح – عليه السلام –ربه بأن يكون أبنه من الناجين كما ذكر القرآن قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١) .

معنى الآيات ونادى نوح ربه إثر ندائه لابنه الذي تخلف عن السفينة ودعاه إليها فلم يستجب، فقال يا رب إن ابني هذا من أهلي الذي وعدتني بنجاتهم إذ أمرتني بحملهم في السفينة، وإن وعدك الحق الذي لا خلف فيه، وأنت خير الحاكمين بالحق.

والخلاصة– "إن نوحا كان يريد أن ينجو ابنه الذي تخلف عن السفينة من الغرق بعد أن دعاه إليها، ومن البيّن أن هذا الدعاء لا بد أن يكون بعد المحاورة مع ابنه قبل أن يحول بينهما الموج"(٢) .

قال الزمخشري في تفسيره: نداؤه ربه: دعاؤه له، وهو قوله رَبِّ مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله، وأريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه لجاء، كما جاء قوله: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾(٣)قال ربِّ بغير فاء إِنَّ ابنِي مِنْ أَهلي أي بعض أهلي، لأنه كان ابنه من صلبه، أو كان

أبي محمد بن عاشور ، مراجعة: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م) (١٧١/٥) .

(١) هود الآيات(٤٥:٤٧) .

(٢) تفسير المراغي، تأليف /أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى،(١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م)– (٤٠/١٢)

(٣) مريم الآية:: ٣

ربيبا له فهو بعض أهله وإِنَّ وعدك الحقُّ وأن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به، وقد وعدتني أن تنجي أهلي، فما بال ولدى؟ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ أي أعلم الحكام وأعدلهم (١).

قال القاسمي: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾إعلام بأن نوحا حملته شفقة الأبوّة، وتعطف الرحم والقرابة، على طلب نجاته، لشدة تعلقه به، واهتمامه بأمره. وقد راعى مع ذلك أدب الحضرة، وحسن السؤال فقال ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾[٢]ولم يقل: لا تخلف وعدك بإنجاء أهلي، وإنما قال ذلك ففهمه من الأهل ذوي القرابة الصورية، والرحم النسبية، وغفل، لفرط التأسف على ابنه، عن استثنائه تعالى بقوله﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾[٣] ولم يتحقق أن ابنه هو الذي سبق عليه القول، فاستعطف ربه بالاسترحام، وعرض بقوله: وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ إلى أن العالم العادل والحكيم لا يخلف وعده.

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾الموعود إنجاؤهم، بل من المستثنين لكفرهم، أو ليس منهم أصلا، لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية، ولا علاقة بين المؤمن والكافر(٤).

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف /أبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧ هـ)، (٣٩٨/٢)

(٢) هود جزء الآية:(٤٥) .

(٣) هود جزء الآية:(٤٠)

(٤) ينظر: محاسن التأويل تأليف / محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) تحقيق /محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ) – (١٠١/٦)

قال ابن كثير: هذا سؤال استعلامٍ وكشفٍ من نوحٍ، عليه السلام ، عن حالِ ولده الذي غرق،﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ أى: وقد وعدتني بنجاةِ أهلِي، ووعدك الحقّ الّذِي لا يُخلف، فكيف غرق وأنت أحكمُ الحاكمِينَ؟ ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أَي: الذين وعدت إنجاءهم ؛ لِأَنِّي إنما وعدتك بنجاةِ مَن آمَن مَن أَهلِك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾[1]، "فكان هذا الولد ممن سبق عليهِ القَول بالغرَقِ لكفرِه ومخالفته أَبَاهُ نبيَّ اللَّهِ نوحًا، عليه السلام "(٢).

قال المراغي في تفسيره :ثم قال الله ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾أي إني أنهاك أن تكون من زمرة من يجهلون، فيسألونه تعالى أن يبطل حكمته وتقديره في خلقه، إجابة لشهواتهم وأهوائهم في أنفسهم أو أهليهم أو محبيهم.

وفى الآية إيماء إلى أنه لا يجوز الدعاء بطلب ما هو مخالف لسنن الله في خلقه ، وإنما يجوز الدعاء بتسخير الأسباب والتوفيق فيها والهداية إلى العلم بالمجهول من السنن والنظام، لنكثر من عمل الخير، ونزيد من عمل البر والإحسان .

ثم ذكر طلب نوح المغفرة من ربه على ما فرط منه من السؤال فقال حاكيا عنه:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٣) . أي قال نوح رب "إني ألتجئ إليك وأحتمى بك من أن

---

(١) هود جزء الآية:(٤٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، تأليف/ أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) (٣٢٥/٤)، تحقيق / سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م) .

(٣) هود الآية:(٤٧) .

أسألك بعد الآن شيئا لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة، وإن لم تغفر لي ذنب هذا السؤال الذي سوّلته لي الرحمة الأبوية وطمعي في الرحمة الربانية، وترحمني بقبول توبتي برحمتك التي وسعت كل شيء- أكن من الخاسرين فيما حاولته من الربح بنجاة أولادي كلهم وسعادتهم بطاعتك وأنت أعلم بهم مني" (١).

المطلب الثالث: أهم العظات والعبر من دعاء نبي الله نوح عليه السلام لابنه .

بعد استعراض أقوال المفسرين في دعاء نبي الله نوح عليه السلام من خلال هذه الآيات الكريمة نستنبط أهم العظات والتي منها :

١- اختلفت حالة النبي نوح - عليه السلام - في دعائه تبعًا للموقف الذي دعا فيه، ففي دعائه على قومه بالهلاك بعد ما تيقّن بأنهم لن يتبعوه، ولن يحولوا بينه وبين الحرية في الدعوة لدين الله تعالى، كان في حالة من الحزن الشديد على كفرهم واليأس من إيمانهم، وفي دعائه بعدما ركب السفينة ودعا الله بالمكان ذو الخير الوفير والبركة في الأهل والمال والدين، فكان في حالة المتأمل بالقادم المشرف على غد أفضل بعدما مضى عمرًا يدعو لدين الله فما خرج إلا بقلة قليلة، وفي دعائه لابنه بالرحمة كان في حالة من الحزن والشفقة على ابنه الذي ناله عذاب الله

٢- استجاب الله -تعالى- لدعاء نوح - عليه السلام - الذي دعاه أثناء دعوته فأهلك الله المفسدين وأيضًا بدعائه بالخير والبركة والرحمة في الحياة ما بعد الطوفان سيّما دعاء واحد لم يُستجب له فيه، وهو دعاؤه لابنه بأن تشمله رحمة الله، فعاتبه الله على أنّه ليس من عباده المؤمنين، فاستعاذ الله نوحٌ بأنْ يدعو الله ما ليس له علم به.

---

(١) تفسير المراغي، تأليف /أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، مطبعة الحلبي مصر، الطبعة الأولى، (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م) . (٤١/١٢) .

٣- عدم استجابة دعاء نبي الله نوح عليه السلام في نجاة ابنه؛ لأنها تتنافى مع سنة الله في عدم نجاة الكفار

٤- الصبر والاستسلام لقضاء الله وتعالى وقدره ولنا في نبي الله نوح عليه السلام الأسوة الحسنة فقد ابُتلى في زوجته وابنه بالكفر ومع ذلك صبر ورضى ، في عدم اجابة الله له تعالى له في هذا الابن الكافر

٥- وأنه لا يجوز الدعاء بطلب ما يغاير سنن الله في خلقه بإرادة قلب نظام الكون لأجل الداعي، ولا بطلب ما هو محرم شرعا ، وأن من الجهالة أن يدعو ولي بما نهي عنه الأنبياء. وأن حكم الله في خلقه قائم على العدل المطلق دون محاباة نبي أو ولي، وأن الأنبياء قد يخطئون في اجتهادهم كما حدث مع نبي الله نوح ولكن سرعان ما طلب من ربه المغفرة والرحمة بقوله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(١) .

---

(٢) هود الآية:(٤٧) .

المبحث الثاني: التعريف بنبي الله إبراهيم عليه السلام ودعائه الخاص بالذرية .

المطلب الأول: التعريف بنبي الله إبراهيم عليه السلام .

ذكر المؤرخون عن نسب إبراهيم- عليه السلام -، سلسلة تتصل حلقاتها إلى نوح- عليه السلام -، فقالوا: هو إبراهيم بن تارخ، بن ناحور، بن ساروغ، بن أرغوا، بن فالغ، بن عابر، بن شالخ، بن قينان، بن ارفخشد، بن سام بن نوح. خليل الرحمن، يكنى أبا الضيفان[١].

هذا هو نسبه الموجود في كتب التواريخ، أما القرآن الكريم فقد تحدث عن والد إبراهيم، وذكر أن اسمه (آزر)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾[٢].

وقد حاول بعض المفسرين أن يوفقوا بين الروايتين، فقالوا: أن لوالد إبراهيم- عليه السلام - اسمين، آزر وتارح، مثل يعقوب وإسرائيل اسمان لرجل واحد، فيحتمل أن يكون اسمه الأصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس، والله سماه آزر، وإن كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك، وكان آزر أبو إبراهيم من كوثي وهي قرية من سواد الكوفة. وقال سعيد بن المسيب ومجاهد: آزر اسم صنم كان والد إبراهيم يعبده وإنما سماه بهذا الاسم لأنّ من عبد شيئاً أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسماً له فهو كقوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[٣]، وقيل:

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) – دار التراث – بيروت – الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ (١/٢٣٣).

(٢)الأنعام: جزء آية (٧٤).

(٣)الإسراء: جزء آية (٧١).

معناه وإذ قال إبراهيم لأبيه: يا عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[١].

والصحيح: أن "آزر" اسم لوالد إبراهيم، لأن القرآن الكريم قد ذكر هذا الاسم في عبارة واضحة صريحة، لا ينبغي أن يلجأ فيها إلى تقدير أو تأويل، وقد جاء في السنة النبوية المطهرة ما يؤكد ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي- صلى الله عليه وسلم -، قال: " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة..."[٢].

ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن إبراهيم- عليه السلام - وُلد بغوطة دمشق[٣]، في قرية يقال لها برزة، في جبل يقال له قاسيون[٤].

والصحيح أن إبراهيم ولد بكوثي[١] من إقليم بابل أرض العراق، وإنما نسب إليه هذا المقام؛ لأنه صلى فيه إذ جاء معينا للوط- عليه السلام -.

---

(١) ذكره القرطبي عن محمد بن إسحاق والكلبي والضحاك، (٢٢/٧)، لباب التأويل للخازن (١٢٥/٢)، السراج المنير للخطيب الشربيني (٤٢٩/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب- أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى" وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر"، (١٣٩/٤)، (٣٣٥٠).

(٣) الغوطة: مجتمع النبات والماء، وغوطة دمشق: الأرض المنخفضة المحيطة بمدينة دمشق، ومن مدنها داريا. قال القزويني في الآثار:" الغوطة هي الكورة التي قصبتها دمشق، وهي كثيرة المياه نضرة الأشجار. (ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت (٢٣٢/١).

(٤) قاسيون: هو الجبل المشرف على مدينة دمشق وفيه عدّة مغاور وفيها آثار الأنبياء وكهوف، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح، وهو جبل معظّم مقدّس، وهو شهير البركة؛ لأنه مصعد الأنبياء عليهم السلام. (ينظر: معجم البلدان – ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله – دار الفكر – بيروت – (٢٩٥/٤).

وكانت ولادته بعد أن بلغ والده من العمر خمساً وسبعين سنة، وقد ولد لــه إبراهيم، وناحور وهاران، ووُلد لهاران لوط، وإبراهيم هو الأوسط، وهاران مات في بابل في حياة أبيه[٢].

المطلب الثاني: دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام الخاص بالذرية .

لنبي الله إبراهيم - عليه السلام - دعوتان خاصتان متعلقتان بذريته - عليه السلام - وكلتا الدعوتين تدلا على رحمته وحنانه وأبوتــه - عليــه السلام -.

الدعوة الأولى: قــال تعــالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٣)، قال أبو السعود – رحمه الله - في معنى هــذه الآيــة: " أي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربــة ويعنــي الولد"(٤) .

---

(١) كوثى: قرية بسواد العراق قديمة، حواليها تلال من الرماد يقال إنها بقايا النار التــي أوقدها النمرود ليحرق بها إبراهيم عليه السلام. (ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد - زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ) - دار صادر - بيروت (١/٤٤٩) .

(٢) تاريخ دمشق – أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعــروف بــابن عســاكر (المتوفى: ٥٧١هـ) - تحقيق: عمرو بن غرامة العمــروي - دار الفكــر للطباعــة والنشر والتوزيع - ١٤١٥ هـــ - ١٩٩٥ م (٦/١٦٤)، قصــص الأنبيــاء، لابــن كثير(١/١٠٧)- مرجع سابق .

(٣) الصافات الآيات: (٩٩- ١٠١)

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتــاب الكــريم تــأليف / أبــى السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التــراث العربي – بيروت- (٧/١٩٩) .

وقال البقاعي- رحمه الله -:" أي قال منادياً ربه منادا الخواص بإسقاط الأداة (رب) أي أيها المحسن إلي هب لي"(١).

وقال الطاهر ابن عاشور- رحمه الله -: أي أنه وبعد أن أخبر أنه مهاجر إلى ربه استشعر قلة أهله وعقم امرأته وثار ذلك الخاطر في نفسه عند إزماعه الرحي" لِأَنَّ الشُّعُورَ بِقِلَّةِ الْأَهْلِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْأَوْطَانِ يَكُونُ أَقْوَى"(٢) .

أقول: وفي هذه الدعوة وذلك الأسلوب تقديم للوسيلة واختيار للوقت المناسب للدعاء، إذ دعا إبراهيم ربه بهذه الدعوة بعد أن نوى الهجرة إلى الله، أو بعد أن شرع فيها فنستنبط من ذلك أن يقدم المؤمن بين يدي دعائه عملا صالحا يتقرب إلى الله به ويجعله وسيلة يستشفع بها عند الله - سبحانه وتعالى - لقبول طلبه، كما أن الدعاء في وقت الحاجة وشدة الاضطرار من أسباب الإجابة: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣)

وفي إسقاط إبراهيم - عليه السلام - لأداة النداء تقرب إلى الله وتزلف إليه، إذ يُلحظ أن جميع دعاء الأنبياء في القرآن خلى من حرف النداء وما ذلك إلا لإيمانهم - عليه السلام - بقرب الله - سبحانه وتعالى - منهم قرباً لا يُحتاج معه إلا حرف النداء، وإما تنزيهاً وإجلالاً لله - سبحانه

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور تأليف / إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - (٢٦١/١٦)

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، تأليف / محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية - تونس١٩٨٤ هـ -(١٤٨/٢٣)

(٣) النمل الآية: (٦٢)

وتعالى – من أن يُنزل اسمه – سبحانه وتعالى – منزلة المفعول بـــه لأن المنادى في محل نصب مفعول به كما هو معلوم.

وبعد هذا الأسلوب الجميل وهذا الأدب الرائع مع الله – سبحانه وتعـــالى – جاءت الإجابة سريعة رغم استحالة تحقق الطلب بالمعايير الكونية العادية لكبر سنه – عليه السلام – ولعقم زوجته، بل وزاده الله – سبحانه وتعالى –، فوهب له غلامًا حليمًا هو منية كل من حُرِم الولد وغاية كل من طلبه

الدعوة الثانية:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾(١) .

قال الألوسي– رحمه الله –: "﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ ﴾التعرض لوصـــف ربوبيتـــه – تعالى –لهم أدخل في القبول وإجابة المسئول، والتأكيد لمزيد من الاعتناء لما قصده من الخير"(٢).

قال البقاعي – رحمه الله –:﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾أي "ما أسكنتهم في هذا الوادي إلا لهذا الغرض المنافي لعبادة غيرك، وبعد أن دعا لهم بالدين دعـــا لهم بالرزق ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾أي ليكون حالهم حال من يرجى شكره"(٣).

قال ابن عاشور– رحمه الله – : "وتوسيط النداء للاهتمام بمقدمة الدعاء زيادة في الضراعة ثم فرَّع عليه بالـــدعاء ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾؛ لأن هـــمّ الصالحين هو إقامة الدين، وأقحم لفظ الأفئدة لإرادة أن يكون مسير النـــاس إليهم عن شوق ومحبة، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾أي رجاء شكرهم وهو داخل في

---

(١) إبراهيم الآية: (٣٧)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف / شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)(٢٢٣/٧) ، تحقيق / علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥ه

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٤٢٧/١٠) – مرجع سابق .

الدعاء؛ لأنه جعل ذلك تكملة له تعرضاً للإجابة وزيادة لهم في الدعاء بـأن يكونوا من الشاكرين"(١).

قال الألوسي – رحمه الله –: "ولا يخفى ما في دعائه – عليه السلام – من مراعاة حسن الأدب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجـة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ولذا منَّ الله عليه بحسن القبول وإعطاء المسئول ولا بدع في ذلك من الخليل"(٢).

المطلب الثالث: أهم العظات والعبر من دعاء نبـي الله إبـراهيم عليـه السلام الخاص بالذرية:

وبعد ذكر أقوال العلماء في هذه الآية وما أكدوا عليه من ضرورة تـوافر أدب الدعاء وحسن الضراعة إلى الله؛ لتحقيق المطلوب واستنزال الإجابـة، فإنه من الواضح كيف استجاب الله – سبحانه وتعالى – لخليله إبـراهيم – عليه السلام – حتى أصبحت أم القرى مكة المكرمة منارة العالم تهوي إليها قلوب الناس ويأتونها من كل مكان وأصبحت وفيرة الرزق رغـم أنـه فـي فترات كثيرة قل شكر سكانها وأشركوا بالله وتركوا الصلاة كما كان قبل بعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – ورغم ذلك فقد كان وعد الله لخليله طلبه ولم يسُئْه في ذريته بل أكرمه فكان من عقبه محمـدًا – صـلى الله عليـه وسلم–.

ومما يستنبط من هذا الدعاء الذي أُسقِطت منه أداة النداء وتعرَّض فيـه الخليل وذريته لوصف الربوبية المشتمل على صـفات الإحسـان والرحمـة والرأفة بالعباد، أن يبدأ الإنسان في دعائه بتمجيد الله – سبحانه وتعالى – وذكره بأقرب الصفات وأنسبها إلى حاجته وأن يؤخر المطلوب إلى ما بعـد ذكر حالته الداعية إلى طلب الحاجة لاستنزال الرحمة والرأفة مـن الـرحمن الرحيم، ولو اكتفى المسلم بذكر حاله وضعفه غير مصرح بحاجته لأغنـاه؛

---

(١) التحرير والتنوير (١٣/٢٤١) – مرجع سابق .

(٢) روح المعاني (٧/٢٢٧) – مرجع سابق

لأن الله أعلم بما يصلح حال الإنسان منه، فقد بدأ إبراهيم دعائه بوصف حاله وحال ذريته في هذه الأرض الخالية من كل وسائل العيش الضرورية راغبا رحمة رابه ونزول لطفه وفيضه.

وقبل أن يناجي بطلبه إلى ربه؛ توسل إلى الله بأحب الأعمال إليه وهي إقامة الصلاة المشتملة على معنى التوحيد ليكون ذلك أدعى للإجابة إلى طلبه، وذلك شبيه بدعاء موسى عليه السلام ربه حين طلب أن يرسل معه هارون – عليه السلام –، فقال تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾(١)، وذلك بأن يُطلب الشيء من أمور الدنيا للاستعانة به على أمر من أمور الدين فإن ذلك ادعى للإجابة وأسرع في الإنفاذ.

ثم يختتم الداعي دعاءه بما يدل على أن استجابة الله – سبحانه وتعالى – دعائه أدعى لشكره كأن يقول العبد في ختام دعائه ربي واجعلني من الشاكرين أو أن يقول اللهم وأعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك أو أن يقول اللهم ولا تشغلني بما تعطيني عما يرضيك عني .

---

(١) طـه الآيات: (٢٩-٣٥)

المبحث الثالث: التعريف بنبي الله يعقوب عليه السلام وذكر دعائه الخاص بأبنائه .

المطلب الأول: التعريف بنبي الله يعقوب عليه السلام .

هو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليه السلام –، وولد الأسباط وهم اثنا عشر ذكرا. قيل أن جميع الأنبياء من ولده إلا أحد عشر، وهم: نوح وهود وصالح ولوط وإبراهيم وأيوب وشعيب وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد –صلى الله عليهم أجمعين–.

يقول الفيروز آبادي: "كان يعقوب حفيد الخليل، ووالد الصدّيق، ومقدَّم الأسباط وشيخهم، وجدّ أنبياء بني إسرائيل، وابن أخي إسماعيل. اعتكف في بيت الأحزان أربعين سنة، وقيل: سبعين سنة. واستنشق ريح ثوب يوسف من مسافة ثمانين فرسخاً"[١].

سمي يعقوب بهذا الاسم؛ "لأنه ولد مع عيصَوْ في بطن واحد. وُلد عيصَوْ قبله، ويعقوب متعلق بعقبه، خرجا معاً، فعيصوْ أبو الروم، تابع دعوة أبيه إسحاق وجده إبراهيم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، توفي بمصر وله من العمر مائة وسبع وأربعون سنة، وحمله يوسف ـ عليه السلام ـ، ودفنه عند قبر أبيه إسحاق في البلدة المسماة بالخليل بقرب بيت المقدس"[٢].

ويعقوب ـ عليه السلام ـ هو إسرائيل فقد اتفق المفسرون على أن يعقوب ـ عليه السلام ـ هو إسرائيل الذي ذكر في القرآن الكريم، فهو بذلك له اسمان وكلاهما أعجمي غير منصرف للعُجمة والعلمية، وقد جاء في الحديث (لم

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٤٣/٦)– مرجع سابق .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي(١٦٤/٢)، لسان العرب(٦٢٣/١)بتصرف. كنز الدرر وجامع الغرر لأبي بكر الدواداري(٢١٩/٢).

يكن من الأنبياء من له اسمان إلا إسرائيلُ وعيسى، فإسرائيل يعقوب وعيسى المسيح)[١].

قال القرطبي نقلاً عن ابن الجوزي: وليس في الأنبياء من لـــه اســـمان غيره إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن له أسماء كثيرة. لكن الخليل بن أحمد الفراهيدي ذكر خمسة من الأنبياء ذوي اسمين وهم: محمد وأحمـــد نبينا ـ عليه السلام ـ، وعيسى والمسيح، وإسرائيل ويعقوب، ويـــونس وذو النون، وإلياس وذو الكفل صلى الله عليه وسلم [٢].

ومعنى إسرائيل: عبد الله. قال ابن عباس: إسرا بالعبرانية هو عبد، وإيل هو الله. وقيل معناه: صفوة الله، وقيل: إسرا من الشد فكأن إسرائيل الـــذي شده الله وأتقن خلقه.

وقال السهيلي: سمي إسرائيل لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلـــى الله تعالى فسمي إسرائيل أي أسرى إلى الله[٣].

وقد ورد ذكر "يعقوب" ست عشرة مرة في القرآن الكريم، أما هذا الاسم (إسرائيل) فقد ورد ذكره مرتين في القرآن الكريم.

الأولى: في سورة آل عمران، عند الحديث عن ما حرّمه على نفســـه، ومـــا حرمه الله على بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب:تفسير سورة مريم، (٢/٤٠٥)، (٣٤١٥)، وقال: حديث صحيح.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٣٠) بتصرف، وبنحوه في البحر المحيط لأبي حيان (١/٢٨١).

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي – محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي –بيروت (١/١٠٩).

مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

والثانية: في سورة مريم، عند الحديث على شجرة النبوة المتفرعة عن إبراهيم ويعقوب –عليهما السلام–. قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[2].

المطلب الثاني: دعاء نبي الله يعقوب عليه السلام الخاص بأبنائه .

الدعاء الأول:

وقد ورد في القرآن الكريم دعاء نبي الله يعقوب عليه السلام بعدما أخبره أبناءه، إن يوسف –عليه السلام– قد أكله الذئب كذبًا.

فقال تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٣).

أي "جاءوا أخوة يوسف بقميصه ملطّخًا ظاهره بدم غير دم يوسف، وهم يدّعون أنه دمه، ليشهد بصدقهم، فكان دليلا على كذبهم، ومن ثم قال: (عَلَى قَمِيصِهِ) ليستبين للقارئ والسامع أنه موضوع وضعا متكلّفا، إذ لو كان من افتراس الذئب لتمزّق القميص، وتغلغل الدم في كل قطعة منه، ومن أجل هذا كله لم يصدقهم وقال: هيهات، ليس الأمر كما تدعون، بل سهلت لكم أنفسكم الأمّارة بالسوء أمرا نكرا وزيّنته في قلوبكم فطوعته لكم حتى اقترفتموه، وسأصبر صبرًا جميلاً على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يفرّجه الله بعونه

---

(١) سورة آل عمران: آية (٩٣).

(٢) سورة مريم: آية (٥٨).

(٣) يوسف الآية: (١٨) .

ولطفه، وإني أستعين به على أن يكفيني شر ما تصفون من الكذب"(١)، وأستعين بالله وحده على ما تكذبون في هذا الأمر.

والصَّبرٌ الجميلُ هو: أن يعرف أنَّ مُنزِّلَ ذلك البلاء هو الله تعالى ثمَّ يعلم أنَّهُ سبحانه مالكُ المُلكِ، ولا اعتراض على المالكِ في أنْ يتصرَّف في ملكه، فيصيرُ استغراق قلبه في هذا المقام مانعاً من الشِّكايةِ.

وأيضاً: يعلمُ أن منزِّل هذا البلاءِ حليمٌ لا يجهلُ، عالمٌ لا يغفلُ، وإذَا كان كذلك، فكان كلُّ ما صدر عنه حكمةً وصوابًا، فعند ذلك يسكتُ ولا يعترضُ. ثم قال: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٢)أي: "استعين بالله على الصَّبر على ما تكذبون"(٣) .

فنجد هنا أن نبي الله يعقوب عليه السلام قد ابتلاه الله ابتلاء شديدًا في أبنائه حيث كان عليه السلام يعلم بكذب أبنائه ، وبسبب حبه الشديد ليوسف عليه السلام ، ورغبته في حضور يوسف ونهاية حبِّه له لم يطلبه؛ لأن الله عز وجل منعه من الطَّلب تشديدًا للمحنة عليه، وتغليظًا للأمر عليه، أو لعلَّهُ عرف بقرائن الأحوال أنَّ أولاده أقوياء، وأنَّهم لا يمكنونه من الطَّلب، والفحص، وأنَّه لو بالغ في البحثِ فربما أقدموا على إيذائه أو لعلَّه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام علم أنَّ الله تبارك وتعالى سيصون يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام عن البلاءِ والمحنةِ، وأن أمرهُ سيظهرُ بالآخرةِ ولم يرد هتْك ستر أولاده، وإلقائهم في ألسنةِ النَّاس وذلك لأنَّ أحَد الولدينِ إذا ظلم أخاه، وقع أبوه في العذابِ الشَّديدِ؛ لأنه إذا لم ينتقمْ؛ يحترق قلبه على الولد المظْلُوم،

---

(١) تفسير المراغي (١٢/١٢٢) – مرجع سابق .

(٢) يوسف جزء الآية:(١٨) .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ، تأليف / أبى حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م،(١١/٤٤) .

وإن انتقم، احترق قلبه على الولدِ المُنتقَم منه، فلمَّا وقع يعقوب في هذه البلية رأى أنَّ الأصوب الصَّبرُ، والسُّكونُ، وتفويضُ الأَمْرِ بالكُليَّةِ إلى اللهِ تعالى"[١].

الدعاء الثاني:

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢)، قال ابن كثير– رحمه الله –: قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميصِ يوسفَ بِدَمٍ كَذبٍ:﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ .

قال محمد بن إسحاق – رحمه الله –: لما جاءوا يعقوبَ عليه السلام وأَخبروه بما يجْرِي اتِّهَمَهُمْ، وظن أنها كفعلَتِهِم بيوسفَ ، وقال بعض الناسِ: لما كان صنِيعُهُم هذا مرتَّبًا على فعلهم الأولِ، سحب حكم الْأَول عليه، وصح قوله: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[٣] .

وقال ابن عادل الحنبلي – رحمه الله –: هذا الإضراب لا بدَّ له من كلامٍ قبله متقدم عليه يضرب هذا عنه، والتقدير: فرجعوا إلى أبيهم، وذكروا له ما قال كبيرهم، وفقال يعقوب: ليس الأمر كما ذكرتم حقيقة، ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾: زيَّنَتْ ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أي حمل أخيكم إلى مصر، وليس المراد منه الكذب كواقعة يوسف.

وقيل: ﴿ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ ﴾ أنَّه سرق، ما سرق. وقال هناك: ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ وقال ههنا ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾

---

(١) ينظر: المرجع السابق نفسه – (٤٦/١١) .

(٢) يوسف جزء الآية: (٨٣) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣٠٤/٤) – مرجع سابق .

قال بعضهم: يعنى يوسف، وبنيامين، وأخاهم المقيم بمصر، وإنَّما حكم بهذا الحكم؛ لأنَّه لما طال حزنه وبلاؤه علم أنَّ الله سيجعل له فرجًا ومخرجًا عن قريب، فقال ذلك على سبيل حسن الظنِّ برحمة الله تعالى.

وقيل: لعلَّه كان قد أخبر من بعد محنته بيوسف أنه حي، أو ظهرت له علامات على ذلك، ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ العليم بحقائق الأمْرِ، الحكيم فيها على الوجه المطابق للفضل، والإحسان، وقيل: العليم بحزني، ووجدي على فقدهم، الحكيم في تدبير خلقه"[١].

ثم تتوالى الآيات وتتحدث عن الحزن الشديد والآسي العميق الذى عاشها نبي الله يعقوب عليه السلام على فراق ابنه يوسف واخوه فقال تعالى:﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾[٢]﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ ﴾ وأعرض يعقوب عن بنيه كارها لما قالوا ووصفوا، وقال متذكرا حزن يوسف القديم: يا حزني ويا أسفي على يوسف، والأسف: أشد الحزن والحسرة، فجدد له حزن الابنين الحزن الدفين. وهو دليل على تمادي أسفه على يوسف، وأن المصاب فيه دائم متجدد لم ينس مع تقادم العهد.

﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ ﴾ أي أصيبت عيناه بسبب الحزن بغشاوة بيضاء، حجبت البصر والرؤية فأصبح كظيما أي ساكتا لا يشكو أمره إلى مخلوق، كاظما غيظه على أولاده. قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف، إلى حين لقائه

والجزع البالغ والحزن الشديد أمر إنساني عند الشدائد والمصائب، وهو غير مذموم شرعا إذا اقترن بالصبر، وضبط النفس، حتى لا يخرج إلى ما لا

---

(١) اللباب فى علوم القرآن(١١/١٨٨) – مرجع سابق .

(٢) يوسف الآيتان:(٨٤ – ٨٥) .

يحسن، وإنما الجزع المذموم: ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب.

وعند ما شاهد أولاد يعقوب ما حدث لأبيهم، رقوا له، وقالوا له على سبيل الرفق به والشفقة عليه: والله لا تزال تذكر يوسف، حتى تصير مريضا ضعيف القوة، أو تموت، أي إن استمر بك هذا الحال، خشينا عليك الهلاك والتلف، فأجابهم عما قالوا: ودعا الله بقوله﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]

أي "لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم حزني، إنما أشكو همّي الشديد وأسفي وما أنا فيه إلى الله وحده داعيا له وملتجئا إليه، فخلوني وشكايتي، وأعلم من الله ما لا تعلمون، أي أرجو منه كل خير، لأني أعلم من صنعه وإحسانه ورحمته وحسن ظني به أن يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب"(٢).

المطلب الثالث: أهم العظات والعبر من دعاء نبي الله يعقوب لأبنائه .

من خلال دعاء نبي الله يعقوب – عليه السلام – ففي القرآن نستخلص أهم العظات والعبر

اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء وحده وقت الشدة، فكانت شكاية يعقوب وحزنه ولجوئه بالدعاء إلى الله وحده، لا إلى أحد من الخلق، وهذا هو المطلوب شرعا في كل شاك حزين .

عدم التضجر أو التلفظ بأي قول في الدعاء يغضب المولى سبحانه وتعالى ولنا في نبي الله يعقوب عليه السلام الأسوة الحسنة فقد عاش سنوات من الحزن والأسى عاشها يعقوب – عليه السلام –، وقال بعض المفسرين: إنها أربعون سنةً، ومع هذا لم تُسمَعْ منه كلمةُ تضجُّر أو تسخُّط، إنما بثّ حزنه وشكواه إلى الله، فدعا الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) يوسف جزء الآية:(٨٦) .

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،تأليف /د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق ، الطبعة الثانية، ١٤١٨ ه – (٤٤/١٣)

﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[١] أي لا أظهر عظيم حزني إلا لله وحده فهو الذي تنفع الشكوى إليه، وهو كاشف الضرِّ والبلاء .

لابد من الصبر الجميل مع الدعاء وهو الصبر الذى لا شكوى فيه وهكذا شأن المؤمن الصبر، وشأنُه الأكمل أن يرضى عن الله – سبحانه وتعالى –، ويعلم أن خيرةَ الله خيرٌ مِن خيرته لنفسه وإن الحزن ليس بمحظور إذا اقترن بالصبر والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، فذلك من طبع الإنسان وعاطفته، وإنما المحظور هو السخط على القضاء والقدر، وشق الثياب، والكلام بما لا ينبغي وهذا ما حدث مع نبي الله يعقوب فقد ابيضت عيناه من الحزن كما حكى القرآن ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ولكنه صبر واستسلم لقضاء وقدره .

عدم القنوط وعدم اليأس من رحمة الله تعالى في الدعاء؛ لأن من شرط إجابة الدعاء هو اليقين مع حسن الظن بالله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ادعوا اللَّه وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أَن الله لا يَقبَل دعاءً من قَلبٍ غافلٍ لَاهٍ»(٢) فإن نبي الله يعقوب يعلم مالا يعلم غيره من الناس بما

---

(١) يوسف جزء الآية:(٨٦) .

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء ، باب الأمر بالإخلاص في الدعاء (٣٩/١) رقم (٦٢) : الدعاء للطبراني – تأليف / سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٣ه) والحاكم فى المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح (٦٧٠/١) رقم (١٨١٧) وقال هذا حدِيثٌ : مستقيم الإسنادِ تَفرد بِه صالِح المرِّيّ، وهو أَحد زُهَّادِ أَهلِ البصْرةِ، ولم يخرجاه ، المستدرك على الصحيحين ،تأليف /أبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ،تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ (١٤١١ه – ١٩٩٠م) .

عند الله من رحمة وإحسان وتفريج كرب، ويعلم أيضًا أن رؤيا يوسف صادقة، لا يقنط من فرج الله إلا القوم الكافرون، وهذا دليل على أن الكافر يقنط في حال الشدّة، وعلى أن القنوط من الكبائر، أما المؤمن فيرجو دائما فرج الله تعالى.

كان نبي الله يعقوب واثقًا من فرج الله ورحمته لذلك قال ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقد جرت سنته أن الشدة إذا تناهت جعل وراءها فرجًا، والمصيبة إذا عظمت جعل بعدها المخلص منها كما قال:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1] .

(١) الشرح الآيتان:(٥ ، ٦) .

المبحث الرابع: التعريف بنبي الله موسى عليه السلام وذكر دعائه الخاص به عن خروجه من مصر .

المطلب الأول: التعريف بنبي الله موسى عليه السلام .

يذكر المؤرخون عن نسبه أنه: موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل – عليه السلام –، والدليل على أن اسم أبيه عمران، ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مررت ليلة أسريَ بي على موسى بن عمران عليه السلام ، رجلٌ آدمُ طُوالٌ جعدٌ كأنه من رجال شنوءةَ...)[١].

ولد موسى – عليه السلام –في مصر حيث كان بنو إسرائيل في أعظم محنة مرت عليهم، حيث كان فرعون يبالغ في إلحاق الأذى والنكال بهم، فيُذبِّح أبناءهم ويستحي نساءهم، وهذا ما يشير إليه القرآن بقوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٢]؛ أي: تجبّر وعتا وطغى وبغى وآثر الحياة الدنيا، وأعرض عن طاعة الله –جل وعلا–، وجعل أهلها أنواعاً وفِرَقاً، يستضعف طائفة منهم، وهم شعب بني إسرائيل، الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض، وقد سلَّط الله عليهم هذا الملك الظالم الفاجر يستعبدهم، ويستخدمهم في أخس الصنائع وأردئها وأدناها ومع هذا ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، (١/١٥١)، (١٦٥).

(٢) القصص: آية (٤).

(٣) جامع البيان للطبري (٢/٦١)، كنز الدرر للدواداري (٢/٢٢٧)، البداية والنهاية لابن كثير (١/٢٣٨) بتصرف. تاريخ الأنبياء للنجار (١/١٧٣).

والمقصود: أنَّ فرعون احترز كل الاحتراز ألاَّ يوجد موسى، فعمل علـــى إعداد رجال معهم شفار، وصاروا يطوفون على بني إسرائيل فـــلا يجـــدون مولوداً ذكراً إلاَّ ذبحوه.

المطلب الثاني: دعاءه الخاص به عن خروجه من مصر

حين اضطر موسى – عليه السلام – للخروج من مصر خائفاً من القتل: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(١) .

أي: فخرج من مصر خائفاً على نفسه يترقب التعرض له في الطريق، أو أن يُلحق من رجال فرعون، فالتجأ إلى الله بالدعاء لعلمه بأنه لا ملجأ سواه، فقال: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾؛ أي: من فرعون وملؤه.(٢).﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾(٣)، فلم يكن يعرف إلى أين تأخذه قدماه ولا إلى أين سيتجه ولا من سيلاقي قال(عسى ربي)، قال الألوسي: أي خليق وجدير وحقيق. ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أي وسط الطريق المؤدّي إلى النجاة، وإنما قال عليه السلام ذلك توكلا على الله تعـــالى وثقـــة بحسن توفيقه سبحانه وتعالى ، وكان عليه السلام لا يعـــرف الطـــرق(٤)، قال أبو السعود: "أي توكلاً على الله وثقة بحسن توفيقه" (٥).

فدعائه – عليه السلام – في هذه المرحلة موافقا لحاله فبعد أن أنجاه الله عز وجل من فرعون وقومه انحصرت حاجته في أن يجد مكانا يذهب إليه وملاذًا يعمد إليه، فناجى ربه أن يهديه إلى سواء السبيل وذلك بأجمل لفظ وأرق عبارة وحسن أسلوب حتى أورده الله ماء مدين.

---

(١) القصص الآية: (٢١) .

(٢) فتح الرحمن لمجير الدين المقدشي (١٨٣/٥)، الوسيط للواحدي (٣٩٤/٣)، معالم التنزيل للبغوي (٥٢٨/٣)، الكشاف للزمخشري (٤٠٠/٣).

(٣) القصص جزء الآية: (٢٢)

(٤) روح المعاني (٢٦٨/١٠) – مرجع سابق .

(٥) تفسير ابو السعود (٨/٧) –- مرجع سابق .

وبعد أن وصل إلى ماء مدين كما ذكر القرآن قال تعالى:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾(١) .

وبعد أن قام بالسقي للمرأتين واستقر به المقام وشعر بالجوع والتعب دعا – عليه السلام – دعاءً يوافق حاله يطلب الخير من ربه – سبحانه وتعالى – معرِّضًا بجوعه وتعبه، وقبل الحديث عن ملامح الأدب في هذا الدعاء وحسن الضراعة إلى الله بما يليق به واستنزال رحمته وربطًا مع الدعوات السابقة لموسى – عليه السلام – في هذه الرحلة الشاقة، فإنه يحسن بنا أن نستنبط من هذا التدرج في الدعاء والذي يشير إلى أهمية مناسبة الدعاء لحال الداعي، فلم يذكر موسى – عليه السلام – وهو خارج من مصر خائفًا ربي زوجني أو ربي أرزقني ملك مصر أو ربي أهلك ملك فرعون وقومه، بل كان دعائه – عليه السلام – فيما يصلح شأنه بأن قال: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، حتى إذا أمن الخطر ونجا من القوم الظالمين، دعا ربه أن يهديه إلى سواء السبيل حتى إذا هداه ربه إلى أهل مدين ووجد أمة أخرى خارج ملك فرعون وقومه ووجد ماءً وظلاً، دعا ربه أن يرزقه من خير ما عنده، قال الزحيلي: "في دعائه – عليه السلام – استعطاف وترحم"(٢).

قال الثعالبي – رحمه الله – : "ولم يصرح بالسؤال" (٣).

---

(١) القصص ((٢٣–٢٤) .

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة للزحيلى(٨١/٢٠) – مرجع سابق .

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تأليف /أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) تحقيق /الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود – دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١– ١٤١٨ هـ، (٢٨٦/٤) .

قال الألوسي – رحمه الله –: "والتعبير بالماضي بدل المضارع في الفعل أنزلتَ للاستعطاف كالافتتاح برب وتأكيد الجملة للاعتناء" (١).

قال البقاعي– رحمه الله –: "والتأكيد لتأكيد الافتقار إلى الله – عز وجل – وعبر بالماضي تعميما لحالة الافتقار وتحقيقاً لإنجاز الوعد بالرزق" (٢).

قال ابن عاشور– رحمه الله –: "والتعبير عن إيتائه الخير بفعل (أنزلت) مشعر برفعة المعطي"(٣).

المطلب الثالث: أهم العظات والعبر من دعاء نبي الله موسى عليه السلام عن خروجه من مصر.

بعد أن ذكر العلماء دعاء كليم الله موسى – عليه السلام – نستنبط أهم العبر والعظات منها

حسن اختيار الألفاظ وجمال الأسلوب في الدعاء سببا في الإجابة، كاستخدام الفعل الماضي مكان المضارع وحذف أداة النداء، واستخدام الألفاظ الدالة على تعظيم الله – سبحانه وتعالى – واستخدام المؤكدات اللفظية الدالة على شدة الاحتياج، وعدم التصريح بالسؤال تقربًا إلى الله – سبحانه وتعالى – باليقين بأنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بما يُصلِح شأن عبده، فيكفي أن يذكر الداعي حالته الدالة على احتياجه؛ ليستجيب الله – سبحانه وتعالى – له بما هو أصلح لشأنه من اختياره .

---

(١) روح المعاني (٢٧٣/١٠) – مرجع سابق .

(٢) نظم الدرر (٢٦٧/١٤) – مرجع سابق .

(٣) التحرير والتنوير (١٠٢/٢٠) – مرجع سابق .

المبحث الخامس: التعريف بنبي الله زكريا عليه السلام وذكر دعائه الخاص بالذرية.

المطلب الأول: التعريف بنبي الله زكريا عليه السلام .

هو نبي الله زكريا، أبو نبي الله يحيى -عليهما السلام-، وهو من أنبياء بني إسرائيل، وينتهي نسبه لنبي الله يعقوب- عليه السلام -، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١]، وقد ذكر المؤرخون أنه من ذرية سليمان بن داود -عليهما السلام- ، وفي كتاب البدء والتاريخ: أنَّ زكريا من ولد داود، وكان يعمل نجارًا، وكنت تحته أشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم عيسى، وكان يحيى وعيسى ابني خالة[٢]. وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان زكريا نجارًا"[٣].

ويبدوا أن هذا من الفضائل؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)[٤].

وقد عاش نبي الله زكريا- عليه السلام - قبل ميلاد عيسى- عليه السلام -، حيث عاصر ميلاد مريم وكفّلها. قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

---

(١) الأنعام: آية (٨٤-٨٥).

(٢) البدء والتاريخ - المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ) - مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد (١١٦/٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكريا -عليه السلام-، (١٨٤٧/٤)، (٢٣٧٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده (٥٧/٣)، (٢٠٧٢).

وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ (١).

كان زكريا ـ عليه السلام ـ زوج أخت مريم أشياع في قول الجمهور، وقيل: زوج خالتها.

قال ابن كثير ـ عليه السلام ـ: "وإنما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء: "فمررت بابني الخالة يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة"، فجاء على قول الجمهور، كما هو ظاهر الحديث، فإنَّ أمّ يحيى أشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران. وقيل: بل أشياع وهي امرأة زكريا أمّ يحيى هي أخت حنّة امرأة عمران أمّ مريم، فيكون يحيى ابن خالة مريم، فالله أعلم"(٢).

وقد ورد ذكر اسمه في القرآن الكريم سبع مرات، في أربع سور. وأمَّا قصته ـ عليه السلام ـ فقد وردت في سورة آل عمران، ومريم، والأنبياء.

قُتل زكريا بعد قتل ابنه يحيى ـ عليهما السلام ـ، وقتل اليهود للأنبياء من أشنع ما ارتكبوه من جرائم. قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ (٣).

فهذه الآية تفيد أن اليهود قد أُلزموا الذلة أينما وجدوا، وأينما كانوا، في كل مكان وزمان، إلا أن يدخلوا مع المسلمين في عهد الله، وذمة المسلمين، فيكونوا بذلك أهل الذمة، وتفرض عليهم الجزية، وهنا يرفع عنهم المسلمون الأذى والذلة التي أخذوهم بها. وقوله تعالى: ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ﴾ بيان للحال التي يكونون عليها، بعد أن يدخلوا في ذمة المسلمين

---

(١) آل عمران: آية (٣٧).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٦٥/٢) وما بعدها – مرجع سابق .

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٩٣/٦)، والآية من سورة آل عمران: (١١٢).

بعهد الله وعهد المسلمين، فهم وإن رفعت عنهم يد المسلمين بعد هذا العهد الذي دخلوا به في ذمتهم، وإن رجعوا وقد أمنوا بطش المسلمين بهم بعد هذا العقد، فإنهم يرجعون ومعهم غضب الله الذي رماهم به، ومعهم المسكنة التي فرضها عليهم وابتلاهم بها. وهكذا يعيش اليهود أبدا في كل زمان ومكان في ذلة وفى مسكنة.

ثم بين سبحانه سبب هذا العقاب الأليم الذي أخذهم الله به، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾؛ أي: أن سبب ضرب الذلة عليهم وبوئهم بغضب الله هو كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وكان سبب قتلهم الأنبياء وكفرهم، هو عصيانهم أوامر الله واعتداؤهم حدوده، فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر، والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر(١).

المطلب الثاني: ذكر دعائه الخاص بالذرية.

بلغ زكريا - عليه السلام - من الكبر عتيا وكانت امرأته عاقرًا لا تنجب وكان - صلى الله عليه وسلم - يرغب أن يرزقه ربه ذرية صالحة إلا أن فقدان أسباب تحقيق هذه الرغبة جعلته لا يعقد الأمل في تحقيقها، حتى شاهد فضل الله وكرمه على مريم - عليها السلام - حينها تنبه إلى إمكان ولادة العجوز التي بلغت من الكبر عتيا من الشيخ الفاني بقدرة الله يقول الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) - تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٣٣/٢).

(٢) آل عمران الآية: (٣٧)

وقال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾(١) .

وقال – تعالى-: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾(٢) .

قال الطاهر ابن عاشور – رحمه الله -: "وقد نبهه إلى الدعاء مشاهدة خوارق العادة مع قول مريم – عليها السلام – ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ثم قال ولم يزل أهل الخير يتوخون الأمكنة بما حدث فيها من خير وكذلك الأزمنة الصالحة؛ لأنها محل تجليات رضا الله" (٣).

وقال بن كثير– رحمه الله -: "لما رأى زكريا أن الله يرزق مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء طمع حينها في الولد وكان شيخًا كبيرًا قد ضعف وكانت امرأته عاقرًا لكنه مع ذلك دعا ربه دعاءً خفيًا" (٤).قال النسفي: فى قوله ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ "دعا ربه سرًا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء والإخلاص" (٥).

وقال البقاعي – رحمه الله -: "(خفيًا) أي كما يفعل المحب القريب المقبل على حبيبه في قصد الخطاب الجامع بين شرف المناجاة ولذاذة الانفراد

---

(١) آل عمران الآيتان: (٣٨-٣٩)

(٢) مريم الآيات:(٢-٤)

(٣) التحرير والتنوير(٣/٢٣٨) – مرجع سابق .

(٤) تفسير القرآن العظيم لإبن كثير(٢/٣٧) – مرجع سابق .

(٥) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) تأليف / أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، (٢/٣٢٥) .

بالخلوة، (قال رب) بحذف الأداة للدلالة على غاية القرب، (إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا)هذا دعاء شكرًا واستعطاف"(١).

وقال الألوسي– رحمه الله –: "ولا منافاة بين النداء إذا فسر برفع الصوت وكونه خفيًا لأن الخفاء غير الخفوت ومن رفع صوته في مكان لا يسمعه فيه أحد فقد أخفاه، وقيل هو مجاز عن عدم المراءة أي الإخلاص" (٢).

وقال السمرقندي– رحمه الله –: (خفيًا)؛"لأنه علم أن دعاء السر أنفع وأسرع إجابة"(٣).

وقال ابن عطية– رحمه الله –: "(ولم أكن بدعائك رب شقيا) شكر الله – تعالى –على سالف أياديه عنده أي قد أحسنت إلي فيما سلف وسعِدت بدعائي إياك" (٤).

وفي تفسير هذه الآيات قال ابن عادل الحنبلي: " (فصل في أدب زكريا – عليه السلام –)

وذكر أن زكريا – عليه السلام – راعى سنة الله في الإخفاء؛ لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان وكان الإخفاء أولى لبعده عن الرياء ثم أضاف أن دعائه – عليه السلام – كان في الصلاة لقوله – تعالى –(فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب)(٥) .

---

(١) نظم الدرر (١٦٨/١٢)– مرجع سابق .

(٢) روح المعانى (٣٧٩/٣) – مرجع سابق .

(٣) بحر العلوم تأليف /: أبى الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)(٣٦٨/٢) .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف – أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق /عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١– ١٤٢٢ ه ، ـ(٤/٤)

(٥) اللباب في علوم الكتاب(٦/١٣) – مرجع سابق .

قال الشنقيطي: "السبب في الإخفاء هو الإخلاص وليس غيره ثم قال وفي هذه الآية دلالة على أنه ينبغي للداعي إظهار الضعف والخشية والخشوع في دعائه"(١).

المطلب الثالث: أهم العظات والعبر من دعاء نبي الله زكريا عليه السلام الخاص بالذرية.

ومن قصة زكريا - عليه السلام - ودعائه ربه، ومن خلال أقوال العلماء فيها نخرج بدروس مفيدة أهمها:

أولا: إن اختيار الوقت المناسب في التضرع والدعاء سبب في إجابته.

ثانيا: إن اختيار المكان المناسب في المناجاة والدعاء سبب في الإجابة.

ثالثا: إن إخفاء التضرع والمناجاة في الدعاء من باب الإخلاص يكون سبب في إجابة الدعاء.

رابعاً: إن التضرع حين مشاهدة رحمة ربه وفضله سبب في إجابة وقبول الدعاء ولذلك أصل في سنة النبي صلى الله عليه وسلم إذ أخبرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن الدعاء يقبل ويستجاب حين نزول المطر.كما روي عن سهل بن سعْد، قال: قالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: "ثنتان لا تُردَّان، أو قلَّما تُردّان: الدعاءُ عند النِّداءِ، وعِند البأسِ حين يُلحِمُ بعضُه بَعضاً"، قال موسى: وحدَّثني رِزْقُ بن سَعيدِ بن عبدِ الرحمن، عن أبي حازم، عن سهل بن سعدٍ، عن النبي -صلَّى الله عليه وسلم- قال: "وتحتَ المطر"(٢)

خامسا: إن المناجاة والتضرع في الصلاة من أهم أسباب قبول الدعاء.

سادساً: إن من آداب الدعاء وقبول الإجابة افتقار الداعي للضعف والخشية والخشوع.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف / محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م . (٣٥٩/٣)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - أول كتاب الجهاد - باب الدعاء عند اللقاء - (١٩٣/٤) حديث (٢٥٤٠) - وقال اشيخ شعيب الأرناؤوط - حديث صحيح .

المبحث السادس: التعريف بنبي الله أيوب عليه السلام وذكر دعائه الخاص بمرضه.

المطلب الأول: التعريف بنبي الله أيوب عليه السلام

كان أيوب عليه السلام رجلاً من الروم، واسمه: أيّوب بن أموص بن رازح بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ــ. وكانت أم أيوب عليه السلام ــ بنت لوط عليه السلام ــ، وكانت زوجته إيليا أو رحمة بنت منشا ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق عليه السلام ــ.

أمّا عن مكان نشأة أيوب عليه السلام ــ ، فقد ذكر ابنُ عساكر –رحمه الله– أن أيوب عليه السلام ــ كان يسكن بالشام، وديره معروف بناحية بلد تسمى (البَثَنيّة) من نواحي دمشق بقرب نوى من أرض حوْران، وموضع مسجده ومغتسله وأندرته بتلك القرية معروف(١).

وهو أحد الأنبياء الكرام المنصوص على الإيحاء إليهم في سورة النساء، في قوله– سبحانه وتعالى –: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾(٢).

وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في عداد الرسل الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وهو من ذرية إبراهيم –عليهما السلام–، بدليل قوله تعالى:﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٣).

وقد ورد اسم أيوب في القرآن الكريم أربع مرات، في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/١٠) – مرجع سابق .

(٢) النساء: آية (١٦٣).

(٣) الأنعام: آية (٨٤).

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1].

وفي سورة الأنعام في قوله تعـالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

وفي سورة الأنبياء في قوله تعـالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3].

وفي سورة ص في قوله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[4].

ويقترن ذكر أيوب بالصبر؛ لأنه كان أشد الأنبياء بلاء، وكـان ابـتلاؤه بالنعمة والغنى لا يقل عن ابتلائه بالمصائب. ولقد صبر أيوب عليه السلام – – على النعمة كما صبر على النقمة.

والصبر على النعمة يكون بإحسان استعمالها، وآداء واجبها، أما الصبر على النقمة فيكون بالرضا والإيمان، والخضوع والاستسلام للقضاء دون تسـخّط أو تبرّم من محنة أو بلاء[5].

المطلب الثاني: ذكر دعائه الخاص بمرضه.

حين ابتلى الله – سبحانه وتعالى – عبده ونبيه أيوب – عليه السـلام – بالمرض وكان بلاءً شديدًا وقد ذكر الله سبحانه وتعالى صبره وأشاد به كما

---

(١) النساء: آية (١٦٣).

(٢) الأنعام: آية (٨٤).

(٣) الأنبياء: آية (٨٣).

(٤) سورة ص: آية (٤١).

(٥) تاريخ الأنبياء– عبد الوهاب النجار – مطبعة النصر – شارع فارق مصر – الطبعة الثانية – (٢٥٢/١) بتصرف يسير.

أشاد بدعائه – عليه السلام –: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[1].

تشير الآيات الكريمة إلى محنة أيوب عليه السلام ــ، فينسب ما به من نَصَبٍ وعذاب إلى الشيطان تأدباً مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ في إسناد الشر إلى الشيطان؛ لأنه سبب كل بلاء يصيب ابن آدم في الدنيا. وإلاّ فإن اللّه هو الذي قدّر أن يبتليه، ويوقع به الضر؛ لأن الله هو الذي يفعل ما يشاء، ويوقع بعباده ما يشاء، وكل ما يصيبهم من ضر أو نفع، أو خير أو شر، فهو من الله في الحقيقة؛ لأن الأمور كلها بيده –سبحانه–. كما بيّنت أيضًا أن الله لما أراد كشف الضر عنه أمره أن يركض برجله، وأن يغتسل ويشرب من الماء الذي ينبع له.

والنُصْب: الضر الذي أصابه في جسده. والعذاب: ذهاب المال والأهل[2]. والمراد بمس الشيطان إياه: ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من رحمة الله، والجزع مما أصابه، ودفعه للتخلي عن الصبر، فالتجأ إلى الله أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه، ورده بالصبر الجميل. وقيل: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسّه الله به من النصب والعذاب، نسبه إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله، ولا يقدر عليه إلا هو[3].

---

(١) سورة ص: آية (٤١-٤٤).

(٢) جامع البيان للطبري (١٠٦/٢٠) – مرجع سابق .

(٣) الكشاف للزمخشري (٩٧/٤)- مرجع سابق .

وقال ابن عاشور- رحمه الله - ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ هو ثناء على الله - سبحانه وتعالى - مع تعريض بالدعاء" (١).

قال الثعالبي: "وهذا الاسم المبارك مناسب لحال أيوب - عليه السلام"(٢).

وجاء في تفسير النسفي معلقا على دعاء نبي الله أيوب - عليه السلام - فقال: "لقد ألطف أيوب في المسالة" حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ن وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يرحم فارحمه واكشف عنه الضيم الذي مسه"(٣).

المطلب الثالث: أهم العظات والعبر من دعاء نبي الله أيوب عليه السلام الخاص بمرضه.

من الدروس المستفادة من تضرع نبي الله أيوب - عليه السلام - ملتزما في ذلك آداب الدعاء-

التوجه إليه عز وجل متضرعا بأحد أسمائه الحسنى وصفاته المناسبة لحال الداعي أو طبيعة الطلب؛ لأن ذلك أحرى وأبلغ في الدعاء وأسرع في الإجابة، مع عدم التصريح بالمطلوب هو الذي هو من دواعي إجابة الدعاء ومن كمال الأدب مع الله - سبحانه وتعالى -

---

(١) التحرير والتنوير - (١٢٧/١٧) - مرجع سابق .

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن تأليف /أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) ، تحقيق /الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١- ١٤١٨ هـ، (٩٥/٤)

(٣) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) تأليف / أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ، ط١،(١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، (٤١٦/٢)

أن استخدام التأكيد اللفظي في الدعاء لبيان شدة الحاجة من آداب الدعاء التي استخدمها أيوب - عليه السلام - وهو من باب الإلحاح على الله في الدعاء.

كما لا ينبغي للذي يناجي ربه أن يذكر ما أصابه من ضرٍ أو بلاءٍ أو نصبٍ إلى ربه - سبحانه وتعالى - تأدبًا معه - عز وجل - مع أنه قدره وكتبه، كما جاء في قصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (١) .

فقد أضاف الخليل - عليه السلام - ما أنعم الله عليه من أفضال ونعم إلى الله عز وجل حتى إذا ذكر المرض أضافه إلى نفسه تأدبا مع ربه - سبحانه وتعالى - ولنا في رسل الله الأسوة الحسنة .

---

(١) الشعراء الآيات:(٧٨-٨٢) .

المبحث السابع: التعريف بنبي الله يونس عليه السلام وذكر دعائه الخاص به وهو في بطن الحوت .

المطلب الأول: التعريف بنبي الله يونس عليه السلام .

وفيه ثلاثُ لُغاتٍ: ضَمُّ نُونِه وفَتْحهُ وكَسْرُه، وهو اسمُ أَعجميّ ممتنع من الصَّرْف، وقيل: مُشْتَقٌ وَزْنُه يُفْعِل من آنَس يُؤْنِسُ إِيناسًا بمعنى أَبْصَر، قال الله تعالى: ﴿ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ (١)، وقيلَ من الأُنْسِ ضدّ الوَحْشة، سُمِّيَ بِه لأُنْسِهِ بطاعةِ الله، أَو لأَنَّه أَبصر رُشْدَه في العبادة

وذكره الله تعالى باسمه في مواضع من التَّنْزيل: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٢)،﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾(٣)، ﴿ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤) .

المطلب الثاني: ذكر دعائه الخاص به وهو في بطن الحوت .

حين التهم الحوت يونس – عليه السلام – وأيقن بالهلاك وألا منجي له مما هو فيه إلا الله كما حكى القرآن ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٥) .

قال البقاعي – رحمه الله –: "ولما نزهه عن الشريك قال: (سبحانك) أي تنزهت عن كل نقص، فلا يقدر على الإنجاء من مثل ما أنا فيه غيرك؛ ثم أفصح بطلب الخلاص بقوله ناسبًا إلى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله: (إني كنت) أي كونًا كبيرًا (من الظالمين) أي في خروجي من بين قومي قبل

---

(١) القصص جزء الآية: (٢٩) .

(٢) الصافات جزء الآية: (١٣٩) .

(٣) يونس جزء الآية: (٩٨) .

(٤)الأنعام جزء الآية: (٨٦) .

(٥) الأنبياء الآية: (٨٧) .

الإذن، فاعف عني كما هي شيمة القادرين، ولذلك قال – تعالى –مسبباً عن دعائه: (فاستجبنا له)"(١) .

قال الألوسي– رحمه الله –: "(سبحانك) أي أنزهك تنزيهاً لائقًا بك من أن يعجزك شيء أو أن يكون ابتلائي بهذا من غير سبب من جهتي (إني كُنتُ مِنَ الظالمين) لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت إلى المهاجرة من غير أمر على خلاف معتاد الأنبياء – عليه السلام –، وهذا اعتراف منه – عليه السلام – بذنبه وإظهار لتوبته ليفرج عنه كربته" (٢).

المطلب الثالث: أهم العظات والعبر من دعاء نبي الله يونس عليه السلام الخاص به وهو في بطن الحوت

من أهم ما يستفاد منه من خلال دعائه عليه السلام من دعاء يونس – عليه السلام – في هذه الحالة العصيبة وهذا الهم الذي عاشه صلى الله عليه وسلم يمكن القول أن الدعاء لكشف الغم ورفع الكرب والابتلاء يحسن بهذا المنهج الممثل في توحيد الله ﷻ وتمجيده بوحدانيته وتنزيهه عن كل نقص مع إظهار قدرته وحده – عز وجل – على رفع هذا اكرب والبلاء الذي ما حل إلا بسببٍ من ناحية الداعي مع الاعتراف بالتقصير والرجوع بالتوبة للنجاة من هذه الغمة ولتفريج الهم والغم والكرب العظيم .

---

(١) نظم الدرر (٤٦٦/١٢) – مرجع سابق .

(٢) روح المعاني (٨٠/٩) – مراجع سابق .

الخاتمة

أحمد الله تعالي وأشكره على ما منَّ الله به عليَّ من إتمام هذا البحث الذي بذلت فيه ما وسعني من قوة، وجهد وبعد تلك الرحلة نجمــل نتــائج هــذه الدراسة، وأبرز التوصيات وذلك على النحو التالي :

أولًا: أهم النتائـج:

١- بعد استعراض قصص بعض الأنبياء أصحاب الحاجات وأدبهم مع الله في الدعاء تبين أن من الآداب العامة للدعاء اختيار الألفاظ المناسبة للتضرع والتذلل والافتقار إليه عز وجل ، وكذلك حسن الأسلوب واختيار الوقت المناسب وخاصة الأوقات التي تتجلى في الرحمات من الله على خلقه، والأماكن المباركة التي لها الأثر الطيب في قبول الدعاء واستجابته وأخيرا تقديم الوسيلة بين يدي الدعاء بقول أو فعل لسرعة استجابة الدعاء .

٢- من الأمور المستحبة في الدعاء ذكر الله عز وجل بما يناسب حال الداعي وحاجته كما فعل نبي الله عيسى - عليه السلام - كما قال الله ﴿ وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[١]

٣- من اللطائف الداعية إلى استجابته الدعاء التعريضُ بحاجة العبد دون ذكرها، وأيضا استخدام المؤكدات اللفظية؛ لإثبات شدة الافتقار إلى الله - عز وجل - كما في قوله - سبحانه وتعالى - ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾[٢].

---

(١) سورة المائدة جزء الآية:(١١٤)

(٢) القصص جزء الآية: (٢٤)

٤- الربط بين الدين والدنيا من الأمور المستحسنة في الدعاء؛ فهي من باب الاستعانة على أوامر الله بأمور الدنيا كقوله - تعالى - ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1] .

وكقوله - تعالى - ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾[2] .

٥- من الحالات التي تجاب فيها الدعوة الدعاء حال الصلاة لقوله - تعالى - ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3] .

٦- التأدب مع الله سبحانه وتعالى في الدعاء بأن لا ينسب إليه البلاء وإن كنا نعتقد بأن الله عز وجل قدره وكتبه على خلقه وذلك اقتداء برسل الله سبحانه وتعالى في هذه المسألة .

٧- في قصة نبي الله يونس - عليه السلام - سر عجيب بخصوص التضرع لرفع البلاء، إذ يحسن بالمسلم حال الدعاء البدء بتوحيد الله وتمجيده الله وتنزيهه عن النقائص والعيوب، وأن ينسب الخطأ الذي دفعه في هذا الكرب لنفسه مع التوبة والأوبة والرجوع إليه عز وجل فإن ذلك أدعى للإجابة ونوال المطلوب.

---

(٣) إبراهيم جزء الآية: (٣٧)

(٤) طــه الآيات:(٢٩-٣٥)

(٥) آل عمران الآية: (٣٩)

٨- من لوازم الدعاء الصبر والتأني وعدم العجلة والإلحاح على الله وعدم تعجل الاجابة ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث خباب ابن الأرت قال: شكونا إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة، فقلنَا: أَلا تستَنصِرُ لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال : «قد كان من قبلَكم يُؤخذ الرجل فيحفرُ له في الأرض فيجعل فِيها، فَيُجَاءُ بِالمِنشارِ، فيوضعُ على رأْسِهِ، فيجعل نصفينِ، ويُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحدِيد ما دون لحمِهِ وعَظمِهِ، فما يصُدُّهُ ذلك عن دينِهِ، واللَّه ليَتِمنَّ هذا الأَمر حتى يسيرَ الرَّاكِبُ من صنعَاء إِلى حضرموت لا يخاف إِلا اللَّهَ، والذِّئب على غنمِهِ، ولكِنَّكُم تستَعجِلُونَ»[١] .

أبرز التوصيات:

١- ضرورة الاعتصام بالله سبحانه وتعالى ؛ لأنه أساس النصر والتمكين، فما اعتصم أحد بالله إلا ونصره الله سبحانه وتعالى .

٢- الإقبال على دراسة دعوات الأنبياء والرسل – عليهم السلام – فإن فيها الخير الكثير والنفع الكبير .

٣- توجيه نظر الباحثين إلى قراءة دعوات الأنبياء والرسل – عليهم السلام – قراءة عصرية واستخراج ما فيها من درر تفيد الإسلام والمسلمين،

---

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام – (٢٠١/٤) – حديث:(٣٦١٢) .

واستلهام الدروس والعبر؛ للاستفادة منا وإسقاطها على الواقع، وفي ذلك إضافة للمكتبة الإسلامية .

٤- من يحمل رسالة الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - عليه أن يسير على منهجهم؛ فليتأمل الماضي القريب، ويعيش المستقبل المأمول ويساير الواقع بفكر ثاقب.

أهم المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم:

ثانيا: أهم المراجع :

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف / محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) دار الفكر بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٢. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع تأليف /أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) ، تحقيق / محمد عبد الحميد النميسي
٣. بحر العلوم تأليف /: أبى الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)
٤. البحر المحيط في التفسير تأليف / أبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، تحقيق / صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، ط ١٤٢٠ هـ
التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، تأليف / محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية – تونس١٩٨٤ هـ ار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م
٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف /مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق /محمد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

٦. تاج العروس من جواهر القاموس تأليف /محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق ،مجموعة من المحققين، دار الهداية
٧. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تأليف / أبى السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت
٨. تفسير القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) تحقيق /محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ط١ (١٤١٨ هـ)
٩. تفسير القرآن العظيم ، تأليف /أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق:/ سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م
١٠.تفسير المراغي ، تأليف /أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ، ط١،(١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م) .
١١.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،تأليف /د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٨ ه
١٢.تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) تأليف / أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
١٣.الجواهر الحسان في تفسير القرآن ت ، تأليف /أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) تحقيق /الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١– ١٤١٨ هـ

١٤.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف / شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، تحقيق / علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ

١٥.سنن أبي داود تأليف /أبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

١٦.سنن الترمذي ، تأليف / محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، تحقيق وتعليق / أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط٢ (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م)

١٧.شرح السنة ، تأليف / محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)تحقيق/ شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ، ط٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

١٨.الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة ، تأليف / عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

١٩.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(٢/٣٩٨) ، تأليف /أبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ (١٤٠٧ هـ) .

٢٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تأليف / أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط١ (١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م)

٢١. اللباب في علوم الكتاب ، تأليف / أبى حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م

٢٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف / أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق /عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١– ١٤٢٢ هـ

٢٣. المستدرك على الصحيحين ،تأليف /أبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ،تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ (١٤١١هـ – ١٩٩٠م) .

٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تأليف /أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف/ د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ط١،(١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م)،

٢٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، تأليف /عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي

(المتوفى: ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م)

٢٦.نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم تأليف / عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي دار الوسيلة ، جدة ، ط ٤

٢٧.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور تأليف / إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

٢٨.النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام تأليف /أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ) ، تحقيق /علي بن غازي التويجري ، إبراهيم بن منصور الجنيدل ، ج٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري ، دار القيم – دار ابن عفان ، ط١(١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م)

almasadir & almarajiei:

Alquran Alkarim

'ahamu almarajie :

1. 'adwa' albayan fi 'iidah alquran bialquran , talif / muhamad al'amin bin muhamad almukhtar bin eabd alqadir aljaknii alshanqitii (almutawafaa : 1393ha) dar alfikr bayrut - lubnan , 1415 hi - 1995 m

2. 'iimtae al'asmae bima lilnabii min al'ahwal wal'amwal walhafdat walmatae talif /'ahmad bin eali bin eabd alqadir, 'abu aleabaas alhusaynii aleabaydii, taqi aldiyn almaqrizi (almutawafaa: 845hi) , tahqiq / muhamad eabd alhamid alnamisi

3. bahr aleulum talif /: 'abaa allayth nasr bin muhamad bin 'ahmad bn 'iibrahim alsamarqandi (almutawafaa: 373hi)

4. albahr almuhit fi altafsir talif / 'abaa hayaan muhamad bin yusif bin ealii bin yusif bin hayaan 'uthir aldiyn al'andalusii (almutawafaa: 745hi) , tahqiq / sidqi muhamad jamil , dar alfikr - bayrut , t 1420 hu altahrir waltanwir <<tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitab almajid>> , talif / muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnisii (almutawafaa : 1393hi) , aldaar altuwnisiat - tuns1984 ha ar alkutub aleilmiat - bayrut , ta1, 1420 hi - 1999 m

5. basayir dhawi altamyiz fi litayif alkutaab aleaziz talif /majad aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb alfayruzabadaa (almutawafaa: 817hi) tahqiq /muhamad eali alnajaar , almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiat - lajnat 'iihya' alturath al'iislami, alqahira

6. taj alearus min jawahir alqamus talif /mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni, 'abu alfayda, almlqqb bimurtadaa, alzzabydy (almutawafaa: 1205h), tahqiq ,majmueat min almuhaqiqina, dar alhidaya

7. tafsir 'abi alsueud = 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitab alkarim talif / 'abaa alsueud aleimadii muhamad bin muhamad bn mustafaa (almutawafaa: 982ha) , dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut

8. tafsir alqasimi (almutawafaa: 1332hi) tahqiq /muhamad basil euyun alsuwd , dar alkutub alealamayh , bayrut , ta1 (1418 hi)

9. tafsir alquran aleazim , talif /'abaa alfida' 'iismaeil bin eumar bn kathir alqurashii albasriu thuma aldimashqii (almutawafaa: 774hi) , tahqiqu:/ sami bin muhamad salamat , dar tiibat lilnashr waltawzie , tu2 1420h - 1999 m

10. tafsir almaraghi , talif /'ahmad bn mustafaa almaraghi (almutawafaa: 1371hi) , sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabaa alhalabii bimisr , ta1,(1365 hi - 1946 mi) .

11. altafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walmanhaj ,talif /di wahbat bn mustafaa alzuhaylii, dar alfikr almueasir - dimashq , t 2 , 1418 h

12. tafsir alnisafii (mdarik altanzil wahaqayiq altaawili) talif / 'abaa albarakat eabd allah bin 'ahmad bin mahmud hafiz aldiyn alnasfii (almutawafaa: 710hi) haqaqah wakharaj 'ahadithahu: yusif eali badiwi , rajieh waqadim lahu: muhyi aldiyn dib mistu , dar alkalm altayib, bayrut, ta1, 1419 hi - 1998 m

13. aljawahir alhasaan fi tafsir alquran t , talif /'abaa zayd eabd alrahman bin muhamad bin makhluf althaealibi (almutawafaa: 875hi) tahqiq /alshaykh muhamad eali mueawad walshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut ta1- 1418 hu

14. ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani talif / shihab aldiyn mahmud bin eabd allah alhusaynii al'alusi (almutawafaa: 1270hi) , tahqiq / eali eabd albari eatiat , dar alkutub aleilmiat - bayrut , ta1, 1415 hu

15. sinan 'abi dawud talif /'abaa dawud sulayman bin al'asheath bin 'iishaq bin bashir bin shidaad bin eamrw al'azdi alssijistany (almutawafaa: 275hi) , tahqiqu/ muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid almaktabat aleasriatu, sayda - bayrut

16. sunan altirmidhiu , talif / muhamad bin eisaa bn sawrt bin musaa bin aldahaki, altirmidhi, 'abu eisaa (almutawafaa: 279hi) , tahqiq wataeliq / 'ahmad muhamad shakir (ja 1, 2)wimuhamad fuad eabd albaqi (j 3) , wa'iibrahim eutwat eiwad almudaris fi al'azhar alsharif (ja 4, 5) , sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii - misr , ta2 (1395 hi - 1975 mi)

17. sharh alsanat , talif / muhyi alsanat, 'abu muhamad alhusayn bin maseud bin muhamad bin alfaraa' albaghawii alshaafieiu (almutawafaa: 516hi)tahqiqu/ shueayb al'arnawuwta-muhamad zuhayr alshaawish , almaktab al'iislamiu - dimashqa, bayrut , tu2 (1403h - 1983m)

18. alshaykh eabd alrahman bin saedi wajuhuduh fi tw dih aleaqidat , talif / eabd alrazaaq bin eabd almuhsin albadr maktabat alrushdi, alrayada, almamlakat alearabiat alsaeudiat , altabeatu: alsanat alhadiat eashrati- aleadad alraabie- 1418hi/ 1998m

19. alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzili(2/398) , talif /'abaa alqasim mahmud bin eamriw bin 'ahmada, alzamakhashari jar allah (almutawafaa: 538hi) , dar alkitaab alearabii - bayrut , ta3 (1407 hu) .

20. alkashf walbayan ean tafsir alquran , talif / 'ahmad bin muhamad bin 'iibrahim althaelabi, 'abu 'iishaq (almutawafaa: 427hi) , tahqiqu: al'iimam 'abi muhamad bin eashur , murajaeat watadqiqu: al'ustadh nazir

alsaaeidii , dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut - lubnan , ta1 (1422, hi - 2002 m)

21. allibab fi eulum alkitab , talif / 'abaa hafs siraj aldiyn eumar bn ealii bn eadil alhanbalii aldimashqii alnuemanii (almutawafaa: 775hi) , tahqiqa/ alshaykh eadil 'ahmad eabd almawjud walshaykh eali muhamad mueawad , dar alkutub aleilmiat - bayrut / lubnan , ta1, 1419 ha -1998m

22. almuharir alwajiz fi tafsir alkitab aleaziz talif / 'abaa muhamad eabd alhaqi bin ghalib bin eabd alrahman bin tamaam bin eatiat al'andalusi almuharibii (almutawafaa: 542hi) tahqiq /eabd alsalam eabd alshaafi muhamad , dar alkutub aleilmiat - bayrut ,ta1- 1422 hu

23. alimustadrak ealaa alsahihayn ,talif /'abaa eabd allah alhakim muhamad bin eabd allah bin muhamad bin hamduih bin nueym bin alhakam aldabiu altahmaniu alnaysaburiu almaeruf biabn albaye (almutawafaa: 405hi) ,tahqiqi/ mustafaa eabd alqadir eata , dar alkutub aleilmiat - bayrut , ta1 (1411h - 1990m) .

24. musnid al'iimam 'ahmad bin hanbal , talif /'abaa eabd allh 'ahmad bin muhamad bin hanbal bin hilal bin 'asad alshaybani (almutawafaa: 241hi) , tahqiq / shueayb al'arnawuwt - eadil murshid, wakhrun , 'iishrafi/ d eabd allah bin eabd almuhsin alturki , muasasat alrisalat ta1,(1421 hi - 2001 mi),

25. maetaruk al'aqran fi 'iiejaz alqurani, wyusmma ('iiejaz alquran wamuetarak al'aqrani) , talif /eabd

alrahman bin 'abi bakrin, jalal aldiyn alsuyutii (almutawafaa: 911hi) , dar alkutub aleilmiat - bayrut - lubnan , ta1 (1408 hi - 1988 mi)

26. nadarat alnaeim fi makarim 'akhlaq alrasul alkarim - ρ talif / eadad min almukhtasiyn bi'iishraf alshaykhi/ salih bin eabd allah bin hamid 'iimam wakhatib alharam almakiyi dar alwasilat , jidat , t 4

27. nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr talif / 'iibrahim bin eumar bn hasan alribat bn ealii bin 'abi bakr albiqaeii (almutawafaa: 885hi) , dar alkitaab al'iislami, alqahira

28. alnakat aldaalat ealaa albayan fi 'anwae aleulum wal'ahkam talif /'ahmad muhamad bin ealii bin muhamad alkarajy alqssab (almutawafaa: nahw 360hi) , tahqiq /eali bin ghazi altuwijrii , 'iibrahim bin mansur aljunaydal , ja4: shayie bin eabdih bin shayie al'asmarii , dar alqiam - dar aibn eafaan , ta1(1424 hi - 2003 mi)